البابا شنوده الثالث

بسم الاب والابن والروح القدس
الاله واحد امين

مقدمة

حياة التوبة هى نقطة فى العلاقة مع الله واليقظة الروحية هى نقطة البدء فى حياة التوبة

وفى هذا الكتاب ، نود إن نحدثك عن اليقظة الروحية إنها ست محاضرات ، القيت فى الكاتدرائية المرقسية بدير الأنبا رويس بالقاهرة فى اجتماعات الجمعة من مساء ١٩٧٠/١٠/١٦

إلى مساء ١٩٧٠/١١/١٧ .تشرح كيف إن حياة الخاطىء هى غفوة ،بعيدا عن الله ،لا يحس ما هو فيه ،ولغفوته هذه أسباب ،ينبغى معرفتها ،لكى نتوقاها...فإن أستيقظ الخاطئ من غفلته ما هى الدوافع التى تدفعة الى اليقظة ؟ وما هى المشاعر التى تصاحب اليقظة أما كيف يحافظ على هذه اليقظة ، فنتركة لكتابنا (السهر الروحى) ونكتفى الآن بأن نستودعك هذه الصفحات

البابا شنوده

فهرست

مقدمة ٥

معنى اليقظة ٩

١ –أسباب الغفوة الروحية ١١

٢ –دوافع اليقظة ٣٧

٣ – مشاعر تصاحب اليقظة الروحية ٦٥

معنى اليقظة

الإنسان الذى يعيش فى الخطية ،بعيدا عن الله ، يشبه الكتاب المقدس بإنسان نائم ، لا يدرى بنفسه ولا بحالته ، كيف هو! فهو محتاج أن يستيقظ. لذلك يقول الرسول
(إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم...) (رو١٣: ١١)
أي أنه كفانا نوما. كفى الوقت الذى قضيناه متغافلين عن روحياتنا وخلاص أنفسنا،ويجب الآن أن نستيقظ ،الآن بلا تأجيل ولا تأخير وهكذا يتابع الرسول كلامه فيقول : (إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ، ونلبس أسلحة النور)

والكنيسة أيضا تستخدم معنا نفس التعبير....

ففى نصف الليل ،تضع لنا تسبحة ،تقول فى اولها(قوموا يا بنى النور لنسبح رب القوات لأنه أنعم علينا بخلاص نفوسنا) قوموا، استيقظوا جسديا وروحيا ، لكى نسبح... ولذلك نقول بعد ذلك للرب فى نفس التسبحة (عندما نقف أمامك جسديا ، انزع من عقولنا نوم الغفلة أعطنا يارب يقظة ،لكى نفهم كيف نقف أمامك وقت الصلاة .. ونفوز بغفران خطايانا)

نعم،انه نوم الغفلة ،الذى نريد ان نستيقظ منه...

بل أن القديس بولس لا يعتبره نوما فقط ،بل ما هو اكثر من هذا إنه موت، لأن الخطية هى موت والخطاه (أموات بالخطايا) (اف٢: ٥) .لذلك يقول الرسول (استيقظ أيها النائم،وقم من الأموات ،فيضئ لك المسيح). (اف٥: ١٤).قم ،أنتبه لنفسك. ارجع إلى الصحو ،لتدرى ما أنت فيه . أستيقظ وأترك أعمال الظلمة ،فيضئ لك المسيح وتنتقل من الموت إلى الحياة (لو ١٥: ١٧)

الشخص الخاطىء كإنسان مخدر ،لا يدرى ما هو فيه...

أحساسه الروحى معطل ،فهو لا يحس ما هو فيه ،ولا ماذا يفعل ،ولا
خطورة وجسامة ما يفعله.على رأى المثل (سارقاه السكين) .هو فى غفلة ، خارج نفسه. ولذلك حسنا قيل عن الإبن الضال ، لما استيقظ روحيا ، إنه (رجع إلى نفسه)
(لو ١٥ : ١٧)
الإنسان فى الخطية ،فى دوامة ، ينسى فيها روحه ، وينسى الله ، وينسى القيم والمثل ،إنه فى غفوة ،لا يشعر بكل هذا. وربما يظن نفسه فى ملء اليقظة ، ويملأ الدنيا نشاطا وحركة ! بينما الملائكة تصرخ ما بال هذا الإنسان نائما ؟وإلى متى يستمر فى نومه ؟ إنه يحتاج
إلى من يوقظه ، يوقظ ضميره وروحه .يقيمه من بين الأموات ، ليضئ له المسيح....
حقا إن الشيطان ، حينما يريد أن يوقع شخصا ، يخدر ضميره أولا ، أو يقوده بطريقه ما إلى حالة الغفوة والغفلة هذه ،التى تعطل الحس
الروحى ، فلا يدرك ما هو فيه. هنا وأريد أن أقدم لك صورة ،لحالة الخاطئ فى غفلته....

تصوروا كرة تتدحرج من فوق جبل عال...

كرة القيت من فوق جبل عال فأخذت تتدحرج تباعا ، فى إندفاع مستمر من فوق إلى أسفل وهى لا تملك ذاتها لتقف وتقول أين أنا ؟إنما هى تتدحرج وتتدحرج ،بلا فكر ،بلا وعى بلاحس ،بلا ارادة...قوة الدفع تجذبها باستمرار إلى أسفل ،خطوة تسلمها إلى خطوة ودحرجة تسلمها الى تسلمها الى دحرجة،بلا هوادة. وهى لا تعرف إلى أين يقودها كل هذا... ولا تشاء أن تقف ، أولا تستطيع أن تقف ... ولكن إلى متى...

إلى أن يصدمها حجر كبير فى إنحدارها ٠ يعترض طريقها ويوقفها ،ويقول لها الى أين أنت ذاهبة؟إلى أين تتدحرجين ؟أفيقى إلى نفسك٠إسيقظى٠ هذا الإنحدار المتتابع يقودك إلى الضياع٠٠٠ ! فتقف٠ وقد تنظر، فتجد أنها هبطت كثيرا عن مستواها السابق٠٠٠هكذا الخاطىء ،يحتاج إلى أن يستيقظ ٠وإن لم يستطيع ،لابد من أن يوقظه غيره ٠اسمعوا ماذا يقول المزمور (أنا أضجعت ونمت ثم استيقظت لأن الرب معى ٠لابد من اليقظة ، ومن معونة الله فيها٠

وسعيد هو الإنسان ،الذى لا يطول به النوم٠٠٠

وكما يقول المرتل فى المزمور (أنا أستيقظ مبكرا) (مز ٥٧) كل إنسان معرض للغفو ة فـــى حياته الروحية٠ فترات قد تمر على الكل ،مع اختلاف فى النوعية والمستوى ٠ أما الروحيون فـــــــإنهم يتنبهـــــــــون بســــــــــرعة ؛ويفيقــــــــــون لأنفســـــــــــهم ،

أسباب الغفوة الروحية

- □□□□□□□□□□□□□□□□□
- □□□□□□
- □□□□□□

□

□□

أسباب الفتوة الروحية

لاشك أن هناك أسبابا ... يلزمنا أن ندرسها ، لكى نحترس منها.فما هى ؟ منها أسباب خارجية ،تتعلق بالمحاربات والعثرات ،والبيئة المحيطة والظروف. ومنها أسباب داخلية ، تتعلق بطبيعة الإنسان ذاته،ونوعية قلبه وفكره وبعض هذه الأسباب يزحف إلى الإنسان بطيئا بطيئا بطريقة لا تكاد تحس . بينما البعض قد يهجم فى عنف ، ويحتوى القلب بسرعة ،فينسى كل شىء إلاه...

ولنتناول كل ذلك بشىء من التأمل ونفحصه.ولعلنا نذكر فى مقدمة هذه الأسباب المشغوليات.

□□

المشغوليات

المشغوليات طريقة ما كرة من طرق العدو فى تحطيم الحياة الروحية. وأهم ما فى مكرها أنها :

لا تحارب الروحيات ،إنما لا تعطيها مجالا ،فننساها...!

ومثال ذلك ،قد تجد نوعا من الناس مشغولا باستمرار ٠لا يجد وقتا يجلس فيه إلى الله ، للصلاة، للقراءة ، للتأمل للتسبيح ، أو لاى عمل روحى٠كما لا يجد وقتا يجلس فيه إلى نفسه ، ليفحص حالته ،أين هو،وكيف هو،وبالتالي لا يجد وقتا لتغيير حالته ،فهو لا يدرى ما حالته ! إن الإبن الضال كانت بداية رجوعه ، أنه جلس إلى نفسه وفحص الوضع الذى هو فيه ، فقال (كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز ،وأنا هنا أهلك جوعا) ٠ ولما عرف سوء حالته بهذا الشكل ،أستطاع أن يجد الحل ،وهو (أقوم وأذهب إلى أبى) (لو ١٥:١٧:١٨) ٠

من حكمة الشيطان ، انه لا يترك لك وقتا لروحياتك ٠

إن الشيطان حكيم فى الشر ،ويدبر خططه بتعقل ٠ وقد قيل عن الحية إنها كانت (أحيل جميع حيوانات البرية) (تك٣:١) فما هى الحيلة التى يستخدمها هنا؟ بالنسبة إلى بعض الناس ،قد يكون الأغراء الواضح بالخطية سلاحا مكشوفا لا تقبله ضمائرهم المتيقظة ،إذن لا مانع من أرجائه حاليا ،ريثما يتم تخدير هذه الضمائر ٠ وما العمل إذن يرى الشيطان أن الناس إذا خلوا إلى أنفسهم ،فمن الجائز أن يفكروا فى روحياتهم ،أو ينصتوا إلى صوت الله يدعوهم إليه ، أو أن يرجعوا إلى ضمائرهم فتقودهم إلى الله

إذن لابد من مشغولية ،ولو كانت صالحة فى ذاتها !

مثال ذلك : تلميذ مجتهد ،مشغول فى دراسته وفى مذاكرته طول الوقت ، لا يبقى له وقت لشئ آخر ٠ فإن تخرج ، تشغله الوظيفة والعمل الإضافي والدراسات العليا ، ثم بعد ذلك ينشغل فى تكوين بيت ، و فى الزواج ،ومشغولية الأسرة والأولاد ، بحيث لا يجد وقتا للعمل الروحى٠٠٠ وأنت فى كل ذلك تعاتبه ، كيف لا يقتطع وقتا لله ؟ وهو يجيب :وماذا عن تفوقى ؟ وعن اخلاصى لدراستى وعملى وأسرتي ؟وهل الاخلاص للعمل والتفانى فيه يعتبر خطية من الناحية الروحية ؟ والإجابة كلا طبعا ، إنما الخطا فى الآتي :

١-المشغوليات تستوعبك تماما ، وتأخذ كل وقتك وكل فكرك

٢- لا توازن فى توزيع وقتك ، فلا وقت لروحياتك

٣- المشغوليات تتلاحق وتتابع ،بحيث يبدو أنها لا تنتهى

إذن يجب أن تكون عادلا فى توزيع وقتك : كما أنك مطالب بالإخلاص لعملك ولأسرتك٠ ، كذلك عليك أن تكون مخلصا لحياتك الروحية ولعلاقتك بالله ،ولابد أن تخصص لذلك وقتا مهما كان الأمر

عجيبة هى المشغوليات فى عصر التكنولوجيا الذى نعيش فيه ، كل طاقات الإنسان تتحرك بسرعة عجيبة ،كما تتحرك الآلة فى هذا العصر الآلي ٠ الكل يجرى ،وراء ترفيهاته ، وراء حياته الأسرية وحياته الخاصة ٠ الكل فى دوامة عجيبة ، لا تعرف السكون ولا الهدوء ولا تجد راحة ،ولا وقتا للروحيات ٠

حتى إن تفرغ الناس من العمل ، هناك الترفيهات والمسليات تشغلهم ٠

إن وجد الإنسان فراغا من الوقت فى منزله ،تلاحقه المشغوليات من الزيارات ، والجيران ،والأحاديث ،وفض المشاكل العائلية ،والمناقشات الكثيرة فيما يستحق ،يضاف إلى هذا الراديو والتليفزيون، والجرائد والمجلات ،وبحث موضوعات التموين والسياسة ، وما لا ينتهي من أحاديث٠٠٠

وان وجد الشخص فراغا من الوقت خارج البيت ،فهناك المقهى والنـــادى والجمعيـــة ،ولقـــاء الأصدقاء ،وهناك الســـهرات والحفـــلات والرياضـــة ،والســـينما والمســـرح ، والمتنزهـــات والفسح٠٠٠

وفى كل ذلك تنسى الحياة الروحية وينسى الله أيضا٠

ربما لا يأتي الله على فكرك وقتذاك ٠ فمن أين يأتي ؟ وإن تذكرت الله وواجباتك الروحيـــة ،تقول (حينما أنتهى مما أنا فيه ،سأجد وقتا حتما لعملي الروحى)٠ ولكنك ما أن تنتهى مما أنت فيه،حتى تلاقيك مشغولية أخرى ، فتنشغل بها ،وتلفك الدوامة ،وتسحبك بعيدا عن الله ٠٠٠ وإذا بالكرة ما تزال تتدحرج ،فى إنحدار مستمر ،لا تتوقف ،ولا تملك ذلك ٠٠٠

وإن أردت أن تجلس مع نفسك وسط كل ذلك:

قد لا يمنعك الشيطان ،بل يقول لك :(وأنا أيضا سأجلس معك ،حتى إن وقفـــت ســـأقف معـــك أساعدك)٠ وهكذا يذكرك بعشرات الموضوعات التى يسرح فيها عقلك ،وتعاود التفكيـــر فيهـــا وتجد أنك لا تصلى ، ولا تجلس مع الله أثناء جلوسك مع نفسك ٠ فما زلت فـــى مشـــغولياتك !ولماذا ؟

لأن المشغوليات استقرت فى عقلك الباطن ، وتعمل فيه ٠

لم تعد فقط مشغولا من الناحية العملية ،ومن جهة الوقت ، وانما من جهة الفكر أيضا ٠ كل ما يشغلك دخل إلى عقلك ، وإستقر فيه ،واحتل بؤرة اهتمامك ٠ وإن حاولـــت ،فـــى فتـــرات متقطعة أن تخلو إلى ذاتك ،تخرج من عقلك الباطن صور وأخبار وموضوعات تشـــتت ذهنـــك ،وتجذبك إليها ،فما أسرع أن تنجذب ،وتظل الكرة تتدحرج ٠٠٠ حتى فى وحـــدتك وخلوتـــك ،يمكن أن يربكك الشيطان ،ويسرح بك فى ميادين متنوعة لكى يشتت تفكيـــرك ،ويـــدخلك فـــى طياشة الفكر٠

عالم مشغول ،وسيظل مشغولا،إلى أن تأتى الأبدية٠

الكل يدور فى دوامته ٠ والشيطان يجهز لكل إنسان الدوامة التى تناسبه ،والتى يتحرك فيها بلا توقف ،ويظل يتحرك ،إلى أن يأتي الموت ،فيسحبه منها ،على الرغم من إرادته والعجيب أنه ربما يوجد أشخاص فى ساعات الموت ،يكونون مشغولين بأمور أخرى بعيـــدة عـــن خـــلاص أنفسهم !ويخيل إلى أنه حينما تأتى الساعة الأخيرة ، ساعة الأبدية ويأتي السيد المســـيح فـــى مجيئه الثانى ويبوق الملائكة بالبوق ،يكون الناس لا يزالون منهمكين فى مشغولياتهم متعلقين بها ،لا يحاولون الفكاك منها ،ولا يريدون ٠٠٠ !عجيب أن يظل الناس فى مشغولياتهم حتـــى أتاهم الموت يجدهم مشغولين لا يخرجون من دواماتهم!!

كل منهم ،يحب داومته التى يحركها ،أو التى تحركه! عالم مشغول ٠ متى تراه سيفرغ من هذه المشغولية ،ويعطى ولو جزاءا من وقته لله ؟ متى ؟يحصل على فتره هدوء أو سكون يقضيها فى التأمل ،لأجل راحته النفسية وراحته الروحية؟

متى نخرج من المشغوليات ،ونعطى وقتا لله ؟!

متى يستريح اللسان من الكلام ؟ ومتى تستريح القدمان من الجرى ، واليدان من الشغل ويتفرغ الإنسان إلى الله ،ويهدأ ويجد وقتا لروحه ٠٠٠ ؟ متى يعتبر الوقت الذى يقضيه مـــع الـــرب ربحا له، ومتعة لنفسه ، وليس اقتطاعا من أمور العالم التى يحبها ٠ إن الله إنقاذا للنـــاس

من مشغولياتهم ، قال لهم : إننى أريد أن أريحكم ٠ ولكنكم لا تريدون أن تريحوا أنفسكم ،لأنكم دائما فى مشغولية ٠ ماذا أفعل إذن من أجلكم؟

أعطيكم يوما فى الأسبوع ،تتحررون فيه من مشغولياتكم ٠

يكون يوما مقدسا لى (عملا من الأعمال لا تعملون فيه) (لا ٢٣:٣٠) إنه يوم لأرواحكم٠ حتى إن غفوتم طوال الأسبوع ، تستيقظون فيه ٠ ولكن هل استجاب الناس لبركة يوم الرب ؟! إنهم ما زالوا مشغولين فى يوم الرب أيضا٠ الأعمال الخاصة التى لم يستطيعوا أن ينجزوها فى أيام العمل الرسمى،يعملونها فى يوم الرب ٠ وإن إستطاعوا أن يتفرغوا ،يقضون هذا اليوم فى ملاهيهم ومتعهم ٠ وبدلا من يسموه اليوم المقدس holiday يسمونه week-end أي نهاية الأسبوع وقد تكون مشغولياته وعثراته أكثر من أيام الأسبوع٠وتستمرالكرة تتدحرج فيه ،ولا يكون مجال للروح !

الله يريد أن يقضى وقتا معنا ،ونحن لا نريد !

كإنسان خطب فتاه ٠ وكلما يزورها لكى يقضى معها وقتا ،من فرط محبته لها ،يجدها مشغولة فى ترتيب أمور البيت ،فى الكنس والمسح ،وغسل الملابس وكيها ،وأمور الطهى والتنظيف ويحاول جاهدا أن يقنع خطيبته بأن تجد وقتا تجلس معه ،ولا فائدة ،أنها مشغولة باستمرار !هل تظنون مثل هذه الخطيبة تستحق عريسها الذى يحبها ؟ أليس من الحكمة أن تغير أسلوبها ؟ ماذا يفعل هذا الخطيب ،إن كان فى كل مرة يأتي إلى خطيبته ،يجدها مشغولة عنه لا تلتفت إليه ٠ عجيب أن الله يريدنا ،ونحن لا نريده ،عجيب أن ننشغل عن أخلص حبيب ٠ يكلمنا ،ونحن لا نجيب ٠ يدعونا إليه ، فلا نستجيب عجيب هذا حقا عجيب ٠٠٠

شاب يسأل : أنا مشغول فى دورسى ، فهل أترك الخدمة ؟! ٠٠ كيف تترك الخدمة يا إبنى أليس هناك يوم فى الأسبوع هو يوم الرب ، تخدم فيه ؟ أنت لا تملك هذا اليوم ،حتى تشغله بالدورس أو غيرها ٠ إنه ملك للرب ٠ سمح الله أن كل دول الإدارات والمصالح والمؤسسات ،تمنح العاملين فيها يوم عطلة فى الأسبوع ٠ إنه يوم الرب ٠لا يجوز أن ننشغل فيه بغير الرب ٠ وإلا كانت هذه المشغولية تحمل أعترافا ضمنيا ،بأن الله ليست له أهمية فى قلبك وفى تقييمك لمشغولياتك !

وعجيب أننا ننشغل عن الرب ،ونلوم المنشغلين به !

مثال مرثا أخت مريم ،إنشغلت عن السيد المسيح بأعمال البيت وأمور الضيافة ٠ ولم تكتف بهذا إنما بكل تأثر وجهت لومها إلى مريم ،لأنها جلست عند قدمى الرب تستمع إليه ! وكأنها تقول عن أختها ٠ لماذا تجلس فى هدوء ؟ لا تنشغل مثلى ومعى ؟ هل جلوسها مع الرب أهم من عملها معى ٠ لذلك وبخها السيد المسيح على مشغوليتها هذه ،وقال لها :أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ،والحاجة إلى واحد
(لو١٠ :٤٠ ، ٤١) ٠
وأصبحت مرثا مثالا للمشغولية التى تعطل عن الجلوس مع الرب ومثال هذا أيضا الذين تجرفهم أمور العالم ، حتى ما يجدون وقتا للصلاة ٠ فإن وجدوا راهبا متوحدا قد تفرغ للجلوس مع الرب ،فى صلاه وتأمل ، يصيحون قائلين :فلينزل ليخدم معنا ! ويتهمون الرهبان بحياة

الكسل ،وعدم الأهتمام بالكنيسة ،وعدم المبالاة بخلاص الأنفس المحتاجة !! إنهم لا يجدون وقتا للصلاة ،ويلومون الذين يصلون ٠ ويصيحون فيهم كما صاح فرعون فى الشعب الذى أراد أن يخرج ليعبد الله (متكاسلون أنتم متكاسلون ،لذلك تقولون نذهب ونذبح للرب) (خر ٥:١٧)

المشغولية عن الرب زحفت ،حتى دخلت مجال الخدمة أيضا !

فترى مثلا خادما كبيرا ،مسئولا عن فرع هام من فروع الخدمة ،ومع ذلك لا يجد وقتا للصلاة والتأمل والجلوس مع الله ٠ فتلومه على ذلك ٠ ولكنه يصيح :العلك لا تعرف مدى المسئولية الملقاه على ،ومدى المشغولية التى أنا فيها : أمامى كراسات التحضير ، وفصول أعداد الخدام والمكتبة ،والنادى ، والصور ،ووسائل الإيضاح ،وتنظيم الأنشطة المتعددة والافتقاد ، واجتماع الشبان ،ومشكلة المتكلمين ٠٠٠ من أين أجد وقتا للصلاة ؟!اعذرنى

وبهذا تجف روح الخادم ،بينما يظن أنه فى عمق الخدمة !

وتصبح الخدمة لونا من النشاط ،خالية من الروح ،كل تنظيماتها تدخل فى حدود الأوامر والنواهى ٠ وتصبح الكلمات التى تلقى عن الصلاة والتأمل والعمل الروحى ،مجرد كلمات من الكتب ،بلا خبرة روحية ،وبلا ممارسة ،وبدون تذوق لله نفسه ٠ وقد ينطوى تحت هذا المثال أيضا كثير من العاملين بنشاط كبير فى المجال الدينى ! حتى أن الله يبحث عمن بقى له إن كان الكل ،داخل بيته وخارجه ، منشغلين عنه ؟!

هنا و أتذكر بعض أبيات شعرية ،قلتها فى هذا المجال :

دخلت البيت لا مرثا ... بساحته ولا مريم
فمن للرب فى البيت ... وكيف إذا أتى يخدم؟
ومن يهفو لمقدمه ... ومن يجرى ومن يبسم ؟
ومن يرنو لطلعته ... ومن يصغى ومن يفهم ؟
ومن بكلامه يشدو ... طوال الليل أو يحلم ؟

إنها حقا مأساة ،أن العالم كله منشغل عن الله٠٠٠٠

حتى بعض الذين كرسوا أنفسهم له !٠٠٠ بالكاد يجاهد الناس لكى يحصلوا على وقت يقضونه معه!وأي وقت ؟! وقت تتنازعه أفكار العالم واهتماماته ٠

لذلك جميلة جدا هى صلاة نصف الليل ،التى يصليها الآباء الرهبان فى الأديرة ،لو أمكن أن يصليها أحباء الله فى المدينة ٠٠٠ يرفع الإنسان يديه إلى السماء ، ويقول للرب : هوذا الكل نائم ،والجو ساكن ،يمكننى يارب أن أنفرد بك ،فى هدوء هذا الليل، وبدون عائق من أحد ، قبل أن يصحو الناس ،وتعود الضوضاء إلى المدينة ، ويعود الصياح والضجيج٠أنا هنا أخلو بك ،وأفتح لك قلبى ٠٠٠كما قال المزمور (فى الليالى إرفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب) حسن أن يفعل أحد هكذا ،ولكن فى الواقع نادرا ما نجد ٠٠٠ تسأل زميلا لك (هل تصلى صلاة باكر ؟) فيقول لك :ما أن استيقظ حتى أستعد بسرعة للذهاب إلى العمل ، قبل زحمة المواصلات٠٠٠ ! وتسأله عن صلاة النوم ،فيقول لك أرجع إلي بيتى متأخرا ،متعب الجسد جدا ألقى بجسمى على فراشى لأنام !

والله ؟هل هو فى آخر القائمة بالنسبة إلى أهتماماتك ؟

لاشك أن الموضوع يحتاج إلى تنظيم الوقت ،وتوفير الوقت٠

حاول أن تصحو مبكرا بعض الشئ ، ولو نصف ساعة ،لكى تبدأ اليوم بالصلاة وقراءة الكتاب ولا مانع من أن تنام مبكرا أيضا ٠ وتحتاج أيضا أن توفر وقتا من المشغوليات التى يمكن الاستغناء عنها أو عن بعضها خلال النهار ٠٠٠يمكن تقليل بعض الوقت الذى تعطيه للجرائد والمجلات والإذاعة مع ما تغرسه فيك كل هذه من أفكار ، أو ما يتبعها من أحاديث ٠٠٠يمكن أن تختصر بعض اللقاءات والزيارات ، وتلغى المقابلات والجلسات غير البناءة ٠وتعيد النظر فى الوقت الذى تعطيه للترفيهات والمسليات ٠ و لا شك أنك ستستطيع أن تجد وقتا لروحياتك٠

المهم أن تقتنع بأهمية العمل الروحى ٠وحينئذ ستجد وقتا ٠

انزع نفسك من الكلام الكثير مع الناس ،لكى تتكلم ولو قليلا مع الله ٠٠٠الذى ينتظرك ٠إن أية مشكلة طارئة مفاجئة تقابلك ،لابد ستفرغ لها وقتا للتصرف فيها ،مع أنك ما كنت تعمل لها حسابا ،وما كانت تخطر على بالك ،ذلك لشعورك بأهمية الأمر ٠ كذلك إن شعرت بأهمية خلاص نفسك ،وأهمية علاقتك بالله لابد ستنظم وقتك ،لكى تحتفظ بالتوازن بين عملك فى العالم وعمل الروح ٠وهذا التوازن لازم جدا ،حتى لا يطغى العالم على رو حياتك ٠

نظم وقتك ومشغولياتك ،حتى لا تسحبك الدوامة بعيدا ٠٠٠

ولا تعتذر بالمشغوليات ، فإن داود النبى ، على الرغم من كل مشغولياته كملك وقائد وقاض كان يقول (سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك)٠وكان يقضى الليل مع الله (مز١١٨)٠لم يعتذر داود بالمشغوليات ،بل على الرغم من كثرتها ،أستطاع أن يجد وقتا طويلا ودسما للمزمار وللقيثار وللتسبيح والترتيل ٠ ويشوع بن نون خليفة موسى ، على الرغم من مسئولياته الكاملة عن الشعب بأسره ، قال له الله (لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ،بل تلهج النهار والليل) (يش ١:٨)٠

فهل أنت فى مثل مشغولية داود الملك ويشوع القائد اللذين وجدوا وقتا لله ٠٠٠؟!

تحدثنا عن المشغوليات التى تسحب الناس بعيدا عن الله ،فهل يوجد غيرها مثلها ؟ نعم توجد :

العاطفة المسيطرة

إن كانت المشغوليات تملك الوقت ،ولا تعطى فرصة لله ٠٠٠

فالعاطفة تملك القلب والفكر أيضا ،بعيدا عن الله٠٠٠٠

الشيطان لا يكشف أوراقه على الدوام، فهو لا يمنع الإنسان صراحة من الوجود مع الله إنما قد يقدم له عاطفة ما تشغل كل قلبه وفكره وأحساسيه ومشاعره ، وتخدره تماما ، وتستحوذ على كل اهتماماته ،ومعها لا يكون لله مجالا فى داخله ٠ ومع هذه العاطفة تظل الكرة تتدحرج وتتدحرج ،وهى لا تدرى ما هى فيه ،أو إلى أين هى سالكة ٠٠٠ تماما كما معنا طفل ،نخشى أن يعطلنا بصراخه وضجيجه وكلامه ،فنقدم له لعبة يلهو بها فينشغل بها عنا ويهدأ ٠٠٠ كذلك يقدم الشيطان مثل هذه العاطفة كلعبة يلهو بها القلب بعيدا عن العمل الروحى ٠٠٠ويبحث الله عنك فلا يجدك ، ويناديك فلا تسمعه ،لأنك مشغول أو مخدر بهذه العاطفة التى تسربت إلى قلبك ٠

أنها محبة معينة ، من أى نوع كانت٠٠٠

لا يشترط أن تكون محبة من النوع الذى بين فتى وفتاه ،أو تعلق قلب بقلب ،إنما هى عاطفة من أى نوع ، والمهم أنها تملك المشاعر كلها وتوجهها فى مسارها ٠مثل هواية معينة تسيطر على الإنسان ، وتملك كل وقته واهتمامه ٠٠٠ هواية كالكرة ،أو العوم ،أو التجديف أو السباق ،أو كالرسم ، أو الكتابة ،أو التمثيل ،أو أى فن من الفنون ٠٠أو محبة للعبة من اللعب ،أو تسلية من التسليات ، أو قراءة خاصة فى الفلسفة أو علم النفس مثلا أو قد تكون هذه المحبة محبة الإنسان لعمله ، تحولت إلى هواية تملك كل وقته وكل فكره لا يتحدث مع أحد ،حتى فى بيته ،إلا عن هذا العمل وأخباره وتفاصيله ومدى نجاحه أو المشاكل التى تعترضه ٠هو عنده كل شئ٠٠٠ أو قد تكون محبة للشهرة أو للظهور أو للعظمة ،تجعله حتى فى وقت فراغه يسبح فى أحلام اليقظة ،أو يؤلف حول نفسه قصصا خيالية يعيش فيها ،ويترجم رغباته إلى حكايات وتصورات ٠٠

أو قد تكون هذه العاطفة التى تشغله هى ثورة لتغيير الأوضاع ،أو ما يسميه برغبة فى الإصلاح حسب مفهومه الخاص طبعا ،تجعله ينتقد كل شئ،ويغضب ،ويدين ،ويقترح أقتراحات جديدة،ويتصور أوضاعا جديدة للجو الذى يريد أن يصلحه ،ويقضى الوقت إقناعا لغيره بوجهة نظره ٠ أو قد تكون هذه المحبة إنتماء لجمعية إن هيئة معينة ،أو فكر ما المهم أن تيارا جارفا يكتسح قلبه ويوجهه فى حماس وفى نار داخلية تتقد ،وتظل الكرة تتدحرج فى عنف ،وهو يعلم بذلك ،بل ويسر به ، لان محبة هذه الدحرجة قد دخلت قلبه وملكت عليه ٠

ويبحث الله عن مكان فى قلبه ، فلا يجد ٠٠٠

قلبه مشغول ،على الدوام ،بهذه العاطفة التى استولت عليه ، والتى يصحو ويبيت مفكرا فيها والتى التهمت كل محبة أخرى ،تجدها فى طريقها ،حتى محبة الله ٠٠٠ إنها كالعثاء (العته) التى تلتهم الملابس ،أو كالسوس الذى يأكل الحبوب ، أو كسرطان الدم الذى يأكل الكرات الحمراء ٠٠٠ تظل تلتهم كل شئ ،حتى تبقى وحدها ٠ ويشعر هذا الإنسان أن هذه العاطفة هى الوحيدة التى تشبعه ! وتسأل عن مركز الله فى قلبه،أو مركز الروح أو الأبدية ،فلا تجد إلا هذه الحقيقة المرة :

لقد طردنا صاحب البيت ،وأسكنا فى مكانه الغرباء ٠٠٠٠!

الله ،الذى هو المالك الحقيقى لقلبك ،أصبح لا يجد له مكانا فيه ٠إنشغل القلب تماما بعاطفة غريبة ،خدرت كل عواطفه الروحية ،فنامت وغرقت فى النوم ٠٠٠والعجيب أنه ليس من السهل أن توقظ مثل هذا الإنسان ،لأنه سعيد بنومه ٠ اليقظة قد تتعبه ،لأنها تحرمه من (محبته)!! لذلك ما أجمل حياة الرهبان القديسين ،الذين قطعوا من قلوبهم كل محبة أخرى غير الله ،وجعلوا شعارهم :

الإنحلال من الكل ،للإرتباط بالواحد (الذى هو الله)٠

هؤلاء أحبوا الله أكثر من كل محبة أخرى مهما كانت بريئة ،أحبوه أكثر من الأب والأم والأهل والأقارب ،بل حتى أكثر من أنفسهم ، حسب الوصية الإلهية

(مت ١٠ : ٢٧ – ٣٩) وكأن كل واحد منهم يقول لله :لا أريد محبة أخرى تشغلنى عن التفرغ لك ٠ فليس لى سواك ٠ أنت الذى تشغل فكرى وقلبى ، وتشغل حياتى ووقتى وتشغل حواسى وعواطفى ٠ أنت شغلى الشاغل ٠ قلبى ملآن بك وفرحان بك ،ولا يعوزه أحد غيرك ٠ لا يوجد فيه فراغ يتسع لأحد غيرك ٠ هذه مشاعر القديسين سكان البرارى ولكن الكل ليسوا هكذا دوامة العالم تجذبهم ،وتلفهم داخلها ٠ حتى إن جلسوا مع الله ،لا يكون ذلك بكل قلوبهم ،لأن عواطف أخرى كثيرة تنافس الله فى القلب ٠٠٠ ولكن هل العواطف والمشغوليات هى الوحيدة التى تخدر الإنسان، وتجذبه بعيدا عن الله ؟ كلا ، فهناك أيضا البيئة ٠

البيئة المنحرفة

طبعا ،ليست كل بيئة تبعد الإنسان عن الله ،فهناك بيئات مقدسة لها تأثير روحى إيجابى ٠ ولكننا هنا نتكلم عن البيئات غير الروحية ،التى لم تذق فى حياتها ما أطيب الرب ! البيئات المعطلة ٠

مسكين الإنسان الذى كلما يسير فى طريق الله ،أو كلما يستيقظ لنفسه ،تحاول البيئة بكل جهدها أن ترجعه ،فينام مثلها ،يحيا نفس حياتها البعيدة عن الله ٠٠ ناسيا قول الكتاب

(لا تشاكلوا هذا الدهر)(رو١٢ : ٢) أى لا تكونوا مثله ،على شبهه وشكله ٠

البيئة المنحرفة تتهم المتدين بالتطرف ٠وتعتبر جهاده تزمنا ،وروحياته شذوذا٠٠٠!

هى تريده مثلها ،يحيا كالمجتمع الذى يعيش فيه ،بنفس الأخطاء ،لا يشذ عن الباقين إن كثر تردده على الكنيسة ،يقولون له :كفى تطرفا ،التفت إلى دورسك أو إلى عملك ٠٠٠ وإن صام ،يقولون له ستضيع صحتك ،وتفقد نضارتك ٠أنظر كيف ذبلت ! لو سرت هكذا ستصاب بالأنيميا والسل ! إن عامل الناس باتضاع ووداعة ، يتهمونه بضعف الشخصية ٠ وان رفض لهوهم وعبثهم ومزاحهم الردئ وترفيهاتهم الخاطئة ، يصفونه بالرجعية ! وإن سلكت الفتاة فى حشمة يقولون لها :منظرك اصبح كفلاحة ! من يرضى أن يتزوجك وأنت هكذا ؟!إنك رجعية لا تجارين العصر ،قد عقدك التدين ! كلا ،إن الإنسان المتدين ليس رجعيا ،إنما هو يقبل من العصر ما يناسب مبادئه ومثالياته ، ويترك ما يبعده عن الله ٠ والمدنية ليس معناها التخلى عن القيم الروحية ٠ وليس التمسك بالمثاليات لونا من الرجعية ٠

إنما هذا الإتهام هو نوع من الإثارة ، يقصد بها الناقدون أن يسمعه الضعيف فيتزعزع ٠

إن الشخص القوى لا تجرفه البيئة المنحرفة ،بل يصمد ويقاومها ٠

أما الضعيف ، فربما يساير الجو ٠إن سمكة صغيرة يمكنها أن تقاوم التيار لأن فيها حياة٠ بينما جذع شجرة ضخم يجرفه التيار على الرغم من ضخامته ،لأنه ليس حيا ٠فكونوا أحياء وقاوموا البيئة إذا انحرفت ، ولا تستسلموا لكل جديد إن كان ضد روحياتكم ومثالياتكم ٠

حقا ما أخطر البيئة على الإنسان الضعيف ٠ كلما تشتعل فيه محبة الله ،ترجع البيئة فتطفئها ٠كما تضعفه القدوة السيئة ٠

وهكذا يتصرف كالباقين ،يلهو معهم ويعبث ،ويشترك فى أحاديثهم الخاطئة ، ويلبس شخصيتهم وكما يقول المثل (أرضهم ما دمت فى أرضهم ،ودارهم ما دامت فى دارهم) أو على الأقل إن استطاع أن يقاوم ، لا يضمن الاستمرار فى المقاومة ٠وبمرور الوقت يفقد حرارته الروحية ويحيا فى فتور دائم ، يتحول بالتدرج إلى غفوة روحية ٠لأنه لا يوجد صوت يبكته على الخطية والفتور ،بل على العكس يوجد من يبكته على العمل الروحى ! كشاب كلما يحاول أن يستيقظ إلى نفسه ،يمر عليه صديق يضيع كل ما عنده من روحيات ، وينتقل بأحاديثه وبدعوته الملحة إلى جو آخر ،ثم يخرجه معه من منزله ، ويقوده إلي ما كان يحاول الإبتعاد عنه منذ حين ٠
(والشر الذى ليس يريده ، إياه يفعل) (رو ٧ : ١٩)وعلى رأى الشاعر

*متى يبلغ البنان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

يضاف إلى الإغراء ، والضغط المعنوى ، والجذب المستمر ، محاولات الإقناع ٠

الفكر أيضا يعمل ، عملا مضادا للروح ٠البيئة تحاول أن تقنع هذا المتدين بخطأ مسلكه ، بوسائل متعددة من التشيك ، وبسرد قصص وأخبار لا تنتهى ٠ وربما تلجا إلى تفسير خاطئ لآيات الكتاب ، كما حاول الشيطان فى التجربة على الجبل ٠ ولا أريد هنا أن أسرد أمثلة من التشكيك وهى كثيرة ٠٠٠٠

مثل هذا الإنسان ،يجب أن يهرب من تأثير البيئة٠

يهرب منها فكريا ، بأن يعرف الرد على شكوكهم ، بالإتصال بشخصيات روحية قوية ، تعطيه ردا على كل فكر خاطئ ، وكل مبدأ غير سليم ، وكل تفسير منحرف لآيات الكتاب
ويهرب من تأثيرهم بكافة الطرق ، حتى بالنسبة للأسرة ، كأن ينشغل فى عمله خارج البيت ، مع باقي أنشطته ، أو أن ينشغل فى البيت فى مذاكرات إن كان طالبا ويجب أن يخفى ممارسته الروحية ٠عنهم على قدر الإمكان
كما قيل فى سفر النشيد (اختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم)
(نش ٤: ١٢) وأيضا لا يكشف أمانيه الروحية ويحيا فى البيئة كأنه ليس منها ٠ويشترك أحيانا مهم فيما لا يتعب ، ويعتذر عن الباقى لباقة وحكمة ، أو فى هروب ٠كما ينبغى أن يكون قوى الشخصية ٠٠٠

أما الذين يستسلمون لتأثيرات البيئة الخاطئة ، فإنها تتلفهم٠

تقتل فيهم كل رغبة روحية ، وتفقدهم روح اليقظة ٠وان استيقظوا يعذبون أنفسهم يوما بيوم ، كما كان لوط فى ارض لوط فى أرض سادوم ٠٠٠ لما كلمهم عن خلاص نفوسهم (كان كمازح وسط أصهاره) (تك ١٩ : ١٤) ٠
ما أعمق قول الكتاب إن (المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة)

(١ كو ١٥ :٣٣)٠لابد إذن أن يغير بيئته ، أو يهرب من تأثيرها ٠أو إن يكون قويا بالدرجة التى يستطيع هو فيها أن يؤثر فى البيئة ٠ولكننا لا نتكلم هنا عن الأقوياء ، إننا نتكلم عن الذين يحتاجون إلى يقظة روحية ،الذين جذبتهم الدوامة ، وجعلت الكرة تتدحرج إلى أسفل ٠يجب أن يهرب هؤلاء لأنفسهم ٠٠٠

كمثال نصيحة طبيب لمريض٠٠٠٠

يقول الطبيب للمريض : يجب أن تغير أسلوبك فى حياتك :لا تأكل كذا وكذا من الأطعمة ، فإنها ضارة بصحتك ٠ تخلص من السمنة مثلا ٠لا تجلس كثيرا بل أمشى فان المشى مفيد لك ٠لاتجلس فى مكان غير متجدد الهواء ٠٠٠إلخ ٠ويجب على المريض أن يمتنع عما يمنعه عنه الطبيب ٠٠٠ليشفى٠٠٠

اصحوا إذن لأنفسكم٠ تخلصوا من مشغولياتكم وعواطفكم وبيئاتكم ٠

تخلصوا من كل ما يخدر ضمائركم ، كما تتخلصون من المشغوليات والعواطف المسيطرة ، وأيضا من تأثير العقل المنحرف ، الذى تقوده رغبات خاطئة أو أفكار غير سليمة ٠٠٠

العقل

أحيانا يكون العقل سببا فى ضياع الإنسان روحيا ،إذا ما أساء استعماله لتحقيق شهواته

فكثيرا ما يكون العقل ، جهازا تنفيذيا لرغبات النفس !

فإذا انحرفت النفس ، ما أسهل أن تجذب العقل خلفها ،كخادم مطيع لها يبرر لها سلوكها الخاطئ ٠ تشتهى النفس شهوة منحرفة ،أو تود أن تستريح بعيدا عن تعب الجهاد الروحى وهنا تجد العقل يضع ذاته فى خدمة هذه النفس ، يقدم لها ما تشاءه من التبريرات أدلة وبراهين بل وآيات من الكتاب ، ومقتبسات من أقوال الآباء ٠ حتى تستريح النفس إلى ما هى فيه ،وحتى لا يثور الضمير على خطا يجب أن تبعد عنه!

مثل هذا العقل ليس أداة فى يد الروح القدس ٠

قد يكون العقل أداة فى قبضة العالم أو الشيطان ٠وقد يكون واقعا تحت تأثير الآخرين ، أو تحت نير الشهوة ، أو قد يدفعه الفهم الخاطئ ، أو المجاملة ،أو المنفعة المادية ٠

مثال ذلك عقل ايزابل فى خدمة آخاب ،لما أراد هذا أن يستولى على حقل نابوت اليزرعيلى (١مل ٢١) أو العقل الذى دفع التلميذين إلى طلب نار من السماء لحرق إحدى مدن السامرة (لو ٩ : ٥٤) أو عقل بطرس الذى دفعه إلى قطع اذن العبد ، بدافع من الغيرة المقدسة! ولعل من أوضح الأمثلة لهذا أيضا ، عقل صاحب الوزنة الواحدة الذى برر دفنه لوزنته بدليل منطقى (مت ٢٥ : ٢٤)العقل دفع آدم فى خوفه إلى الإختباء من الله ٠ ولكن الروح لا تفعل هكذا ٠٠٠

العقل قد يقود إلى الخطاء ، ويقدم لذلك اعذارا٠

ربما يحاول الضمير أن يوقظ الإنسان ،فإذا بالعقل ينميه ، ويقدم له عذرا عن كل خطأ : هذا الأمر ما كنت أقصده مطلقا ، أتى عفوا ، والنية غير متوفرة فيه٠ وهذه الخطية حدثت على الرغم منى ٠الضغطات الخارجية كانت شديدة جدا لا يستطيع أحد الفكاك منها ، ويمكن أن تدخل هذه ضمن الأعمال غير الإرادية ٠وهذا الخطأ تبرره الظروف ، وذاك تشفع فيه الغاية الحميدة والقصد السليم ٠ وذاك الموضوع طبيعى جدا ، يحدث لكل أحد ،لماذا ندع الضمير يوبخنا عليه ؟ ولا شك أن التدقيق الزائد فى الحكم على أمثال هذا الأمر غير جائز ،إنه يقودنا إلى الوسوسة ويفقدنا بساطتنا !! وهكذا إلى ما لا ينتهى من التبريرات ٠ما أسهل أن ينحرف العقل ، وينحاز إلى ذاته ، ويشحذ كل طاقته لمنح سلام زائف للنفس ٠ والفضيلة التى تقصر فيها ، ما أبسط أن يقول إنها فوق إمكانياتى ، أو الظروف لم تساعد عليها ٠٠٠

إنه العقل الذى يشارك النفس فى إنحرافاتها ، ويساعدها ٠

إنه مجرد جهاز يستخدمه الإنسان ٠ وقد يكون جهازا للخير أو للشر ،حسبما يوجهه صاحبه ٠وقد يكون العقل مشحونا بأفكار تقدمها البيئة أو التقاليد ، أو بأفكار استقاها من الكتب أو من الأصدقاء ٠ فلا نضمن كل ما فيه من الفكر ٠ وبهذا يكون العقل سببا لضلالة الإنسان ،إن كان يساعده على الخطيئة ، أو يبررها له ، أو يخدره بما يقدمه من أعذار

وخيال العقل الخصيب قد يساعد على سقوط النفس٠٠٠

تشتهى النفس شهوة ، فيتناولها العقل ، ويقدم لها قصصا لا تنتهى تدور حول صور لتحقيق هذه الشهوة ٠٠٠ مئات من القصص تطول وتستمر ٠وما أن تنتهى صورة منها ، حتى يقدم صورة أخرى ،فى خصوبة عجيبة٠والنفس نائمة ،تسرح فيما يقدمه العقل من حكايات تشبع شهواتها ٠ أن يستيقظ الإنسان أخيرا ،فيجد أن العقل قد سرح به فى مجالات لا تنتهى٠وقد يشتهى أن يعود فيغفو ، ليسرح به العقل مرة أخرى ،ومرات ٠٠٠

وما أعجب سرحات العقل التى يقدمها فى أحلام اليقظة !

فى خطية المجد الباطل مثلا ،ما أسهل أن يؤلف العقل روايات طويلة ،عن أمجاد يصل إليها الإنسان ويرفعه بها إلى أعلى مستوى ، فوق الخيال ، إلى أمور من المستحيل فى الواقع أن تتحقق ٠ولكن العقل يقدمها فى سرحاته العجيبة ،ليشبع رغبة النفس فى العظمة وتظل النفس مخدرة مع العقل ،سارحة فى خياله ،إلى أن يوقظها طارق أو طارى فتستيقظ وتسأل أين أنا ؟ وقد تستمر دغدغة هذه الأحلام معها ساعات أو أيام أو سنوات ٠ وقد يقضى الإنسان عمره كله يحلم ويفكر ويسعد بأوهامه

ليست مشكلته انه لا يستطيع أن يستيقظ من أحلامه ٠٠٠ بل مشكلته انه لا يريد أن يستيقظ !!

إنه سعيد بأفكاره ،سعيد بأحلامه وأوهامه ، سعيد باشباع العقل لشهواته ! وما أكثر مواهب العقل فى التأليف والتخطيط ورواية القصص والحكايات ! وإن أرادت الروح أن تتدخل لاقناع الإنسان بأخطائه ، يحاول أن يرد بمجادلات عقلية ٠٠٠ ! إنها مشكلة العقلانيين٠٠٠تحدثنا الآن عما يخدر الإنسان من مشغوليات ، وعواطف ،ومن إنحرافات البيئة والعقل فماذا أيضا ؟ هناك اللذة ٠٠٠

مشغوليات الإنسان تسيطر على وقته ،فلا يعطيه لله ،والعواطف تسيطر على قلبه ،فلا يعطيه لله والبيئة قد تسيطر على إرادته ، والعقل يسيطر على تفكيره ٠ أما اللذة فإنها تسيطر على حواسه ثم تخدره كله ،فلا عقله يفكر ، ولا البيئة تستطيع أن تمنعه ،كما أن هذه اللذة تصبح هى كل مشغوليته ،وكل مجال عاطفته ٠إنها تملكه كله ٠٠٠

ولا يوجد اصعب من اللذة ، تخدر الإنسان بالتمام ،ولو لوقت !

إنها تستولى على إدراكه كله ، أو تفقده إدراكه كله ، فينسى كل شئ ،ولا يدرى بنفسه إلا منقادا وراء هذه اللذة ،التى تلفه فى طياتها ولكل إنسان لذته الخاصة ٠ أما الإنسان الروحى فلذته فى الله وحده ٠٠٠ سليمان الحكيم عاش فى ملاذ العالم زمنا ،ومهما أشتهته عيناه لم يمنعه عنهما ٠واخيرا بعد أن أتعبته اللذة فترة طويلة ، استيقظ إلى نفسه
وكتب سفر الجامعة وقال (الكل باطل ،وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس)
والا بيقوريون كانت اللذة هدفهم ،فأنكروا الله والروح والقيامة ٠

والمشكلة فيمن تخدره اللذة ، أنه لا يحب أن يستيقظ٠

تريد أن توقظه منها ، فيهرب منك ، أو يقول لك (اتركنى الآن ٠لم يحن الوقت بعد) إنه مسرور بالغفوة التى هو فيها ٠ يقول لك : اتركنى فى نومى ٠فإن أحلام هذا النوم ، أشهى من حرمان الواقع ! إنه يريد أن يظل فى هذا النوم على الرغم من ظلمته ،لأنه يحب الظلمة أكثر من النور ٠٠٠٠
أمثال هؤلاء يرون أن اليقظة الروحية يقظة مريرة ، تتعبهم وتحرمهم من لذاتهم ٠ لذلك هم يهربون باستمرار من الله ، ومن خدام الله ، ومن كنيسته ،ومن مذبحه ٠٠٠٠

ومع ذلك فلابد للنائم أن يستيقظ٠ فكيف ذلك

هذا ما سوف نتحدث عنه فى المحاضرة المقبلة إن شاء الله

(٢)

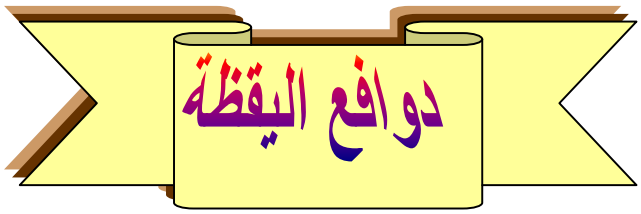

دوافع اليقظة

- محبة الله للخاطئ
- رفض الله للخاطئ
- رفض الكنيسة أو عزلها للخاطئ
- الضيقات والضربات
- الفشل والمذلة وشماتة الأعداء
- تدخل القديسين
- الذكريات المقدسة القديمة
- تأثير وسائط النعمة
- التأثر بموت الآخرين
- السقطة الكبيرة غير المحتملة

لابد لكل غافل أن يستيقظ ...

والكنيسة تعلمنا أن نقول فى صلاة نصف الليل (انظرى يا نفسى ، لئلا تثقلى بالنوم ، فتلقى خارج الملكوت) (تفهمى يا نفسى ذلك اليوم الرهيب واسيقظى ، واضيئى مصباحك بزيت البهجة) (ربما أن الديان حاضر ، اهتمى يا نفسى وتيقظى، وتفهمى تلك الساعة المخوفة ...) إنها دعوة من الكنيسة لليقظة ، ولكن ...

كيف يمكن للنائم روحيا أن يستيقظ؟

وكيف استيقظ الخطاة من قبل ؟ وكيف تحول بعضهم ، ليس فقط من خطاة إلى تائبين ، وإنما من خطاة إلى قديسين ؟ ما هى الوسائل والدوافع إلي يقظة الإنسان ، سواء كانت ذاتية أو خارجية ؟هذا ما نود أن نتحدث عنه الآن.

إن الله لا يترك الإنسان فى غفلته...

لأنه يريد أن الجميع يخلصون ، وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تى ٢ : ٤) فالإنسان الغافل عن خلاص نفسه ، لا تظنوا أن الله يغفل أيضا عنه ، بل على العكس يسعى إلى إيقاظه ، بأنواع وطرق شتى ، لعل فى مقدمتها أعمال محبته.

١- محبة الله

الناس كثيرون استيقظوا بسب محبة الله لهم ...فعلى الرغم من تركهم له ، ونسيانهم له،وجدوا أن محبته تحصرهم بشدة ، وعطفة يتزايد عليهم ، ويده تقرع على أبوابهم

وأحس هؤلاء بالخجل من محبة الله الذى نسوه ، فرجعوا .

أحيانا يخجل الإنسان من محبة له ، وعنايته به ، على الرغم من كثرة خطاياه .فتهز هذه المحبة أعماق نفسه ، فيستيقظ ضميره ...ويخجل من الله الذى ما زال يعطف عليه وهو فى عمق سقوطه! فيقول له (أنا يارب مكسوف منك . أنت عاملتنى بطريقة أخجلتنى أمام نفسى.إننى أخجل من أن أخطىء إليك مرة أخرى . نبلك يخجلنى)

من ضمن الذين أيقظتهم محبة الله : زكا العشار .

(لو ١٩ : ٥) .وإذا بزكا تأسره هذه المحبة وهذا النبل ، من جانب السيد المسيح ، الذى من أجله احتمل تذمر الناس عليه بقولهم (إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ) ... وهذه اللفتة كان غارقا فى الظلم والقسوة . وذهب ليرى المسيح ، لا حبا ولا إيمانا ، إنما بقصد الفرجة على شخص مشهور تزحمه الجماهير . كل ما كان يريده أن يرى المسيح ولو من بعيد ، وكفى ...من أجل هذا تسلق شجرة ليرى ....وإذا به يفاجأ بأن هذا الرجل العظيم صاحب المعجزات المبهرة ، يقف عنده ، يلتفت إليه التفاته خاصة ، من دون هذه الآلاف المحيطة به وأكثر من هذا يناديه بإسمه .ويستضيف نفسه عنده ،قائلا له - أمام هذه الجموع التى تحتقر العشارين -(يا زكا ، أسرع وانزل ،لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك)

الكريمة والمحبة الخاصة ، أسرت قلبه فاعترف بخطاياه التى لم يعيره بهـا المسـيح ٠٠٠ وتاب عنها وقال : (ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين ٠وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف) ونجحت محبة الرب فى إيقاظ زكا ،
و (حصل خلاص لهذا البيت)٠٠
ومثال ذلك أيضا تلميذ أهمل دروسه جدا ، لدرجة اليأس الكامل من النجاح ٠ثم ألقى نفسه أمام الله وبكى ، وهو فى حياة خاطئة بعيدة عن الله ٠ولكن الرب عامله برحمة عجيبـة ، ولم يتخل عنه بسبب خطاياه وبسبب إهماله ، ونجح بشبه معجزة ٠فلم يستطيع أن ينسـى جميل الرب وتاب ٠٠٠ أو شخص أنقذه الله من فضيحة تحطم حياته ، وستر عليه ،وهو فى عمق السقوط ، فإذا بمحبة الله تعصر قلبه ويقول : محال أن ابعد عن الله الذى عاملنى بهذا الحب العجيب ، وسترنى ٠٠٠٠وكما أن البعض أيقظتهم محبة الله ، وهناك مـن أيقظهـم رفضه لهم فشعروا بالضياع الذى يعيشون فيه ، واستيقظوا ٠٠٠

٢ – رفض الله

ولعل أبـرز مثل لذلك : مريم القبطية ٠٠٠٠

كانت تعيش فى فساد كامل ، وفى كل يوم تكون سببا فى إسقاط كثيرين ٠ واستمرت علـى هذا الوضع سنوات طويلة ، لا تفيق لنفسها ، بل تتمادى ٠ ثم ذهبت الى القدس للزيارة ،لا لتنال بركة ، إنما لتمارس فسادها فى الزحام ٠٠٠ولما سارت نحـو الأيقونـة المقدسـة ، شعرت إنها قد تسمرت فى مكانها ، ولم تستطيع أن تتقدم كالباقين ٠وبذلت قصارى جهـدها فلم تفلح ،كانت كأنها مربوطة إلى الأرض٠ ولم يسمح لها الرب أن تنـال البركـة كغيرهـا ٠٠٠٠ وإذ شعرت برفض الله لها ، تذكرت خطاياها ، وخجلت من نجاساتها ، وافاقت مـن تخدير الخطية لها ، وتشفعت بالسيدة العذراء ، ونذرت أن تتوب وتحيا فى طهارة وهنا فقط شعرت بأنها تتقدم بلا مانع ٠٠ وكانت النتيجة أن حياتها تغيرت كلية ، وترهبت ، وعاشـت فى نسك عجيب ، منفردة فى البرارى فى حياة السواح، وصارت قديسة عظيمة صنع الله بها عجائب وتبارك منها القديس الأنبا زوسيما القس وكتب لنا سيرتها ٠إن لطف الله إنما يقتاد إلى التوبة٠ ولكن إن كان البعض يستغل محبة الله استغلالا رديئا ، ويحيا فى اسـتهتار ولا مبالاة فهذا قد يوقظه الرفض أو التجربة أو الضربة الشديدة ، وقد يأتى الـرفض مـن الله مباشرة كما فى مثال مريم القبطية ، وقد ياتى من الكنيسة ٠٠٠

٣– رفض الكنيسة

ومن أمثلة الذين أيقظهم رفض الكنيسة : القديسة مرثا ٠

كانت إمرأة خاطئة أيضا ، تعمل فى الملاهى ، وتصادق الأمراء والأثرياء ٠ ولما ذهبت إلى الكنيسة ، منعها الإيبدياكون من الدخول لأنها إمرأة خاطئة لا تستحق دخول الكنيسة ٠ فلما تجادلت معه ، وسمع الأب الأسقف صوت الخصومة ، خرج فاشتكت إليه ، فأفهمها إن بيت الله مقدس لا يدخله من يعيش فى الخطية ٠فتأثرت جدا ،
وقالت له(يا سيدى ، ما عدت أخطىء)٠فقال لها : إن كنت صادقة فى هذا ، أحضرى كل غناك إلى هنا ٠ فذهبت وأحضرت كل ملابسها وتحفها ومظاهر ثرائها ٠ فأمر الأسقف بحرق هذا كله ، (لأنه لا يجوز أن تدخل أجرة زانية إلى الكنيسة ، حسب تعليم الكتاب
٠(تث ٢٣: ١٨) فتخشعت مرثا جدا ، وضربها قلبها بشدة ٠ وقالت لنفسها : إن كانوا قد فعلوا بك هكذا على الأرض ، فكم يكون جزاؤك فى السماء ؟! وكان هذا الرفض من الكنيسة سببا ليقظتها فتابت وصارت من القديسات

ومن الأمثلة المشابهة أيضا : خاطئ كورنثوس٠

طبق عليه القديس بولس مبدأ (اعزلوا الخبيث من بينكم) (١كو ٥ : ١٣) ٠ وقال لأهل كورنثوس (لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا) (١ كو ٥ : ١١) بل أنه أمر أن
(يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد ، لكى تخلص الروح فى يوم الرب) (١ كو ٥: ٥)
ولما عزل هذا الخاطئ ، وأحس أنه منبوذ من الجميع ، و أنه غير مستحق أن يوجد فى جماعة المؤمنين ، أحس بالخزى ، واستيقظ إلى نفسه ، وحزن جدا على ما وصل إليه من خطية وتاب توبة حقيقية ، حتى أن القديس بولس فى رسالته إلي أهل كورنثوس ، أمرهم أن يمكنوا المحبة لذلك التائب المعزول منهم ، وان يستامحوه ويعزوه (لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط)
(٢ كو ٢: ٧ :٨) لأجل ذلك وضعت الكنيسة فى عصورها الأولى قوانين لمعاقبة الخطاه، لمنفعتهم الروحية ٠ ونظمت ترتيب خوارس الكنيسة تبعا لذلك ٠وما كانت تسمح لكل أحد بالتقدم إلى الأسرار الإلهية ٠ وكان هذا المنع يوقظ الضمائر ، إذ يشعر فيه الخاطئ بثقل خطاياه ونتائجها المؤلمة ٠ وينبغى فى هذه الأمثلة أو غيرها ، أن تعرف حقيقة هامة من جهة رفض الله للخطاه ، أو رفض الكنيسة لهم ، أو عزلهم عن جماعة المؤمنين ، وهى :

إنه رفض مؤقت ، وللمنفعة الروحية ، وتعمل فيه النعمة لإرجاعهم٠

إنه مجرد إشعار للخاطئ بأنه فى حالة دنسة ،لا تسمح له بالإندماج فى قدسية الكنيسة ٠وذلك لكى يصحو إلى نفسه ويغير مسلكه ، أو كما قال الرسول
(لكى تخلص الروح)٠٠٠أيضا من دوافع اليقظة الروحية ، الضيقات والضربات :

٤-الضيقات والضربات

هناك أناس لا توقظهم المحبة ، ولا التوبيخ الهادئ ، وإنما يحتاجون إلى لطمة قوية توقظهم ، فيرجعون إلى الله كإنسان فى حالة سكر ، لا يمكن أن يفيق بأن تربت على كتفه فى وداعة وتدعوه أن يصحو ٠٠٠ أو مثل فرعون الذى احتاج إلى ضربات شديدة ،

فكان يفيق ويقول
(أخطأت إلى الرب ٠٠صليا إلى الرب إلهكما ، ليرفع عنى هذا الموت)
(خر ١٠ : ١٦) (أخطأت ٠٠٠ الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار)
(خر ٩ :٢٧٠ومشكلة فرعون إنه كان يعود فيغلبه طبعه ، ولم تكن يقظته نابعة من توبة حقيقية

ولعل اخوة يوسف ، مثال للذين ساعدتهم الضيقة على اليقظة ٠

لقد تآمروا على أخيهم يوسف ، وباعوه كعبد ، وخدعوا أباهم يعقوب وادعوا أن وحشا قد افترس يوسف ٠وفى كل ذلك لم يتوبوا ، ولم يفيقوا لأنفسهم ٠ ولكنهم لما وقعوا فى ضيقة شديدة عند شراء القمح ، وأتهمهم الحاكم بأنهم جواسيس ،وحبسهم ثلاثة أيام ، وأمرهم بإحضار أخيهم الصغير (بنيامين) ليثبتوا صدق كلامهم ٠ حينئذ أفاقوا بسبب هذه الضيقة ، وتذكروا خطيتهم إلى يوسف (وقالوا بعضهم لبعض : حقا أننا مذنبون إلى أخينا الذى رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع ٠ لذلك جاءت علينا هذه الضيقة ٠٠ وأجابهم رأوبين قائلا : ألم أكلمكم قائلا لا تأثموا بالولد ، وأنتم لم تسمعوا ؟ فهوذا دمه يطلب)(تك ٤٢ : ٢١ ، ٢٢) كذلك لما دبر يوسف أن يوجد طاسه الفضى فى متاع بنيامين الصغير الذى ضمنوه لأبيهم الشيخ ، وقرر يوسف أن يأخذ منهم بنيامين ، قال يهوذا ليوسف (ماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرر ؟ الله قد وجد إثم عبيدك) (تك ٤٤ : ١٦) بالضيقة تذكروا ذنبا مرت عليه سنوات طويلة ٠٠٠كم من شخص
كأخوة يوسف ، إذا أصابته ضيقة يستيقظ ضميره ، ويقول (هذا ذنب فلان الذى ظلمته أو ذنب فلان الذى صرفته والدمع فى عينيه ، ولم أشفق ٠٠٠؟!)

ومن أمثلة الذين أيقظتهم الضيقات ، الإبن الضال :

لم يستيقظ ضميره وهو حياة المتعة ، ينفق ماله بعيش مسرف ، ويلهو مع أصحابه ٠٠٠ولكنه لما افتقر واعتاز ، وأشتهى الخرنوب الذى تأكله الخنازير ولم يجد ٠٠٠حينئذ أمكن لهذه الضيقة أن توقظه ٠ فيقول الكتاب إنه (رجع إلى نفسه) وقال (كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعا ؟ ! أقوم وأذهب إلى أبى ٠٠)
(لو ١٥ : ١٧) ٠ وهكذا قادته الضيقة إلى اليقظة وإلى التوبة ، وعاد إلى أبيه ٠

مثال آخر أيقظته الضيقة ، هو يونان النبى٠

لقد هرب من وجه الرب ، ولم يطعه فى الذهاب إلى نينوى ٠ كل هذا وضميره لم يحركه ٠ وحتى عندما ركب سفينة إلى ترشيش ، وهاجت الأمواج على السفينة حتى كادت تنكسر ، وصرخ ركاب السفينة كل واحد إلى إلهه ٠٠ على الرغم من كل هذا لم يتحرك ضمير يونان ،بل (نزل إلى جوف السفينة واضطجع ونام نوما ثقيلا) (يون ١ : ٥) مما اضطر رئيس النوتية إلى أن يوبخه قائلا (مالك نائما ٠ قم أصرخ إلى إلهك ، عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك) ٠ ولكن يونان لم يصرخ إلى إلهه ٠متى استيقظ إذن وصرخ إلى إلهه ؟ حدث هذا حينما وقع فى الضيقة الكبرى ، وابتلعه الحوت ، فا كتنفته المياه ، وأحاط به الغمر ، وأعيت فيه نفسه حينئذ (صلى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت) وصرخ إلى الرب ، ونذر ، وقال للرب الخلاص (يون ٢) ٠

هناك من لا توقظه الضيقات الصغيرة ، بل ضيقة مرة توقظه ٠

كما حدث ليونان النبى ، الذى لم تكن الأمواج الشديدة كافية لإيقاظه ، فاحتاج إلى حوت يبلعه لكى يفيق إلى نفسه ٠ ولو أننا نلاحظ فى قصة يونان أن اليقظة التى سببها ابتلاع الحوت له ،لم تكن يقظة كاملة أو دائمة ٠ فعلى الرغم من أنه أطاع الرب بعدها وذهب إلى نينوى ، إلا أن طبعه عاد فغلبه ، واحتاج إلى عمل الهى آخر !

ومن أمثلة الضيقات التى توقظ الضمير أحيانا : الأمراض والأحداث :

إن ساعة واحدة مؤلمة من مرض قاس مستعصى ، قد توقظ الخاطئ وترده إلى الله ، أكثر من ألف عظة ، وبخاصة المرض الذى يهدد بالموت ، أو المرض الذى يطول ويبدو أن الأطباء قد عجزوا عن علاجه٠٠٠فى المرض يشعر الإنسان بضعفه ، فيلجا إلى الله ٠ وهنا يبدا التفكير فى أن يصطلح مع الله ٠ فيستيقظ من غفوته ، ويعود إلى الله مصليا ، طالبا منه العون والشفاء وسواء فى ذلك : المرض الذى يصيب الشخص نفسه ، أو المرض الذى يصيب واحدا من أحبائه ٠٠٠

ولعل هذه اليقظة من الأسباب التى لأجلها سمح الله بالأمراض ٠٠٠٠

مارأوغريس ST EVAGRIS المرشد الروحى العظيم ٠٠ وتدخل فى نطاق الأمراض أيضا الأوبئة الفتاكة ، التى تهلك بالمئات والآلاف ، فيغشى كل فرد منها على حياته ، ويشعر أن دوره فى الموت ربما يأتى اليوم أوغدا ٠٠وهكذا يصحو إلى نفسه ويتوب مستعدا لأبديته ٠ ولعل البعض يذكر وباء الكوليرا الذى أصاب إن الخاطئة التى ادعت على القديس مقاريوس أنه أخطأ معها ، وأنها حملت منه : هذه لما تعسرت جدا فى الولادة ، واشتدت الأوجاع عليها حتى قاربت الوفاة ، عرفت أن هذه الضيقة إنما هى ضربة لها من الله ، فاستيقظت لنفسها ، واعترفت إنها ظلمت ذلك البار ، وأخبرت باسم الشاب الذى أخطأ إليها بالحقيقة ٠ وتوجد حوادث أخرى مماثلة قد سجلها التاريخ ٠٠

ولعل الله قد سمح لهذه الخاطئة وأمثالها بآلام الجسد ، لكى تخلص الروح فى يوم الرب ، كما القديس بولس الرسول عن خاطئ كورنثوس (١كو ٥: ٥) ٠ ولعل من القصص المعروفة فى التاريخ : المرض المستعصى الذى أصاب الشماس أوغريس ، وفشل كل أنواع العلاج فيه ٠ وأخيرا قالت له القديسة ميلانيا (إنى أرى يا ابنى ، أن هذا المرض ليس مثل باقى الأمراض ٠ فاخبرنى ما هو سببه فى حياتك) وهنا صحا أوغريس إلى نفسه وصارح القديسة بمشكلته الروحية ٠ وقاده هذا المرض ليس فقط إلى اليقظة الروحية ، وإنما وصل به أيضا إلى الرهبنة فصار من آبائها ومرشديها المعروفين ٠ وتحول من أوغريس الذى تتعبه الخطيئة ، إلى القديس مصر سنة ١٩٤٨ ٠٠٠حقا كان فى أيامه سبب يقظة لكثيرين وما نقوله عن الأمراض ، يمكن أن نقوله أيضا عن بعض الأحداث الأخرى التى يتعرض لها الإنسان ، ويحتاج فيها إلى معونة من فوق ، كما قال الرب (ادعنى فى وقت الضيق ، أنقذك فتمجدنى) (مز ٥٠ : ١٥)٠

ومن الضيقات التى توقظ الإنسان الخاطى ، نوع آخر هو :

٥- الفشل والمذلة والشماتة

فقد يكون الفشل فى بعض الأحيان ضربة يسمح بها الله للخاطئ لكى يصحو إلى نفسه ٠وفى ذلك يقول الرب فى سفر التثنية ، ضمن حديثه عن لعنات الخطية : (لا تنجح فى طرقك ، بل لا تكون إلا مظلوما مغصوبا كل الأيام وليس مخلص ٠٠٠ بذارا كثيرة تخرج إلى الحقل وقليلا تجمع ، لأن الجراد يأكله ٠٠٠يكون لك زيتون فى جميع تخومك ، وبزيت لا تدهن ، لأن زيتونك ينتثر ٠٠ولا تأمن على حياتك ٠ فى الصباح تقول ياليته المساء ، وفى المساء تقول ياليته الصباح) (تث ٢٨ : ٢٩ - ٦٧)

فإن أحس الإنسان أن فشله يرجع إلى عدم رضى الرب عليه وإلى تخلى النعمة عنه ، يرجع إلى نفسه ٠

يحدث ذلك عندما يجد الفشل يلاحقه ٠٠٠كل باب يطرقه ، يجده مغلقا فى وجهه ! وكل مشروع يبدا فيه ، ينتهى إلى الضياع ٠٠٠فيدرك أن بركة الرب قد خرجت من حياته ، ويفيق لكى يصطلح مع الله ، إذ قيل عن الرجل البار إن (كل ما يعمله ينجح فيه) (مز ١) حقا إن الله بأنواع وطرق شتى ، يوقظ الخاطئ من غفلته ٠

ولعل من أمثلة الفشل والمذلة ، ما حدث لشمشون الجبار ٠٠٠

هذا القديس العظيم ، الذى حل عليه روح الرب وصنع به انتصارات عجيبة ، لما وجد أن نعمة الله قد فارقته ، فضاعت قوته وضاعت هيبته ، وأذله أعداؤه ، حينئذ ندم على ما فعله واستيقظ ، واصطلح مع الله ، فأعاد إليه قوته ٠٠٠وقد ضرب الرب لنا مثلا آخر عن الفشل الذى هو نتيجة لتخلى الرب ، والذى يقود إلى اليقظة الروحية ، بمثال :

فشل جيش يشوع أمام قرية عاى الصغيرة ٠٠٠

وكان ذلك الفشل المخجل ، بعد الإنتصار العظيم على أسوار أريحا ٠٠٠حينئذ أحس يشوع أن هناك خطية وخيانة سببت الفشل ٠ وبدا يوقظ الشعب كله ، لكى يعزل الخبيث من وسطه ، لترجع بركة الرب إليه ٠ وهكذا انكشف موضوع عخان بن كرمى ٠ وبالتخلص من تلك الخطيئة ، رجعت بركة الرب (يش ٧) ما أسهل أن ترن فى الآذان ، خلال مرارة الفشل ، عبارة (فى وسطك حرام يا إسرائيل) (يش ٧: ١٣)

(فاعزلوا الخبيث من وسطكم)

(١كو ٥: ١٣) إصحوا لأنفسكم ٠ إستيقظوا لا تمسوا نجسا ٠ إرجعوا إلى ، فأرجع إليكم ٠ وهكذا تكون اليقظة الروحية علاجا للفشل ، بالصلح مع الله ٠

على أن هناك -للأسف الشديد - من يقودهم الفشل إلى مزيد من الخطأ ٠٠٠٠٠

هؤلاء بدلا من أن يقودهم الفشل إلى اليقظة فالتوبة ، نراهم فى الفشل يتضجرون ، ويتذمرون ويفقدون أعصابهم ، وربما يجدفون على الله أيضا ، ويصفونه بالقسوة والظلم !! والبعض منهم قد يغرقون أنفسهم فى ملاذ الجسد ، وفى الخمر والمخدرات ، لكى ينسوا ما هم فيه من ضيق والبعض قد يلجأ إلى السحر والشعوذة والأرواح ، متوهمين أن سبب فشلهم هو (عمل) من الشيطان ٠٠٠! والله قد يصبر على هؤلاء جميعا ، حتى تفشل كل طرقهم البشرية فى إنقاذهم من الفشل ٠ وبدلا من التجديف على الله ، يدخلون معه فى عتاب ٠ وحينئذ تستيقظ قلوبهم ويرجعون إلى الله

فإن كنت أيها الأخ تشكو من فشل يتابعك فى حياتك ،

إرجع سريعا إلى نفسك ، وفتش داخلك جيدا ، وانزع الخبيث من وسط محلتك ، واصطلح مع الله ٠٠٠وهكذا تعود إليك البركة ، فتحيا وتنجح ٠٠٠إن وجدت كل الأبواب مسدودة أمامك ،

فارجع إلى الله يفتح ولا أحد يغلق (رؤ ٣ :٧) إن الله يستخدم كل الطرق لإيقاظنا سواء كانت ضيقة أو ضربة ، أو مرضا ، أو مذلة ، أو فشلا ، لكى نصحو إلى أنفسنا

ولكن لماذا ننتظر ضربات الرب لكى نصحو ؟ ! لماذا لا نصحو من الآن ؟ ولا نلجئ الله إلى استخدام الشدة معنا !

إن الضيقات التى يسمح بها الله لإيقاظنا ، على نوعين : إما ضيقة طبيعية ، أى هى نتيجة طبيعية لأخطائنا وخطايانا ٠٠٠أو هى ضيقة أرسلها الله من نعمته ، بنوع من التخلى المؤقت وكلاهما للخير إن أحسنا استخدامهما ، لنستيقظ ونتوب ٠٠٠

ومن الضيقات التى يسمح بها الرب أحيانا ، شماتة الأعداء ٠٠٠

ونلاحظ أن الإنسان ربما يحتمل الضيقة أو الفشل ، ولكنه قد لا يحتمل فرح أعدائه فى ضيقته وشماتهم بما أصابه من فشل أو سقوط ٠وفى ذلك قال أحد الشعراء :

*كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء

وإذ يتألم الإنسان من شماتة الأعداء ، يجد أنه تلقائيا يرجع إلى الله ، ليصطلح معه ويقول له (٠٠لا تشمت بى اعدائى) (مز ٢٤)، (الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا سقطت) (مز ١٢) إن شماتة الأعداء قاسية ، ومن قسوتها أيقظت كثيرين ٠٠٠

ولعل من الذين أيقظتهم شماتة العدو ، القديس يعقوب المجاهد ٠٠٠

هزا هذا القديس بالشيطان ، وأراد الشيطان أن ينتقم لنفسه بإسقاط القديس ٠وهكذا دبر له حيلة ماكرة ، إستطاع بها أن يسقط القديس أخيرا فى خطية الزنا ٠ثم أسقطه فى الكذب لكى يغطى على هذا الزنا ، ثم جعله يخلف كذبا لعله يثبت ما ذكره من كذب ٠ وبعد هذا السقوط الثلاثى ظهر الشيطان للقديس ، وهزأ به فى سقوطه ، ومضى ضاحكا فرحا ٠وهذه الشماتة من الشيطان جعلت القديس يعقوب يستيقظ من سقطته ، ويصحو لنفسه ، ويقدم توبة عجيبة ، حبس نفسه فى مقبرة لمدة ١٧ سنة فى بكاء ودموع ، وهو يقول لنفسه إنه لا يستحق أن يرى الناس ولا يرى النور ٠٠٠إلى أن تحنن الله عليه أخيرا ، واظهر له بمعجزة أنه قد قبل توبته ٠إن الله يعين الخاطئ على اليقظة الروحية إما بعوامل داخلية ، داخل قلبه ، أو بعوامل خارجية لعل من تدخل القديسين

قد يتدخل القديسون الأحياء بصلواتهم لإنقاذ نفس خاطئة ، مثلما اجتمع قديسو برية شيهيت ، ورفعوا صلوات من أجل القديسة بائيسة فى سقطتها ٠ وقد يتدخل قديسو الكنيسة المنتصرة فى السماء ، فيشفعون إحدى النفوس لتستيقظ كما فعلت القديسة العذراء لما تشفعت فى مريم القبطية فأيقظتها ٠٠٠

وقد يتدخل القديسون الأحياء تدخلا عمليا لإيقاظ نفس وهدايتها :

1- مثلما فعل القديس بيصاريون لإنقاذ القديسة تاييس :

ذهب إليها فى مكان عارها ، وحدثها عن الله والدينونة ، فتخشعت من كلامه وارتعدت ، وهو يقول لها (إن كانت هناك دينونة ، فكيف تتسببين فى هلاك هذا العدد الكبير من النفوس ، لأنه من أجل هذه النفوس الكثيرة سيكون عقابك أكثر من مجرد عقابك على سقوطك) ولفزع تاييس من جدية كلام القديس وتأثرها به ، سقطت على الأرض وانفجرت باكية ٠ وأمكن أن يقودها القديس إلى التوبة والخروج من أماكن الآثم ، حيث قضت حياتها كقديسة ٠

ب- وقصتها تشبه قصة خاطئة أخرى أنقذها القديس سرابيون الكبير :

ذهب إليها القديس لكى يختطف نفسها من النار ٠ ودخل مكان عارها ٠ وظل يتلو مزاميره وفى نهاية كل مزمور ، كان يصلى قائلا (إرحم يارب هذه المسكينة وردها إلى التوبة فتخلص) وكانت هذه الخاطئة تسمع صلواته ، وهى واقفة إلى جواره ترتعد خوفا وخجلا ٠ وأخيرا خرت على قدميه طالبة إليه أن يخلصها ٠فأرشدها إلى طريق الله ، وأخرجها من بيت الخطية إلى بيت للعذراى حيث عاشت حياة توبة ٠٠

ج- ومن هذا النوع أيضا قصة القديس يوحنا القصير ، وسعيه لخلاص نفس القديسة بائيسة :

وهذه كانت قد بدأت حياتها بداية طيبة ٠ كانت غنية جدا ، وكريمة جدا ، وطاهرة جدا٠وكانت تنفق أموالها على الغرباء والمساكين ، وعلى الأديرة والكنائس ٠ ومع ذلك استطاع الشيطان أن يضلها فانحرفت إلى الفساد وعاشت فى أعماقه ٠وسمع بأمرها الشيوخ القديسون فى شيهيت ، وأقاموا الصلوات لأجلها ٠ ولم يكتفوا بالصلاة وحدها ، بل أرسلوا إليها القديس يوحنا القصير لكى يختطف نفسها من الجحيم ٠ فذهب إليها هذا القديس العظيم فى مكان عارها ، وهو يرتل قول المزمور (إن سرت فى وادى ظل الموت فلا أخاف شرا لأنك أنت معى) نظر إليها القديس وقال لها (لماذا استهنت بالسيد المسيح بهذا المقدار ؟ ٠٠٠كيف أضلك الشيطان حتى بعت المسيح بهذا الثمن الرخيص ؟ وأحنى القديس رأسه وبكى بكاءا مرا وتأثرت بائيسة من توبيخه لها ، وتأثرت من بكائه ، واستيقظ ضميرها ٠٠ وقالت للقديس (هل لى توبة ؟) فأجابها (نعم ، ولكن ليس فى هذا المكان) إقتنعت ، وسلمت نفسها لهذا الذى أتى من أجل خلاص نفسها وخرجت التائبة بائيسة مع القديس إلى البرية ٠ ولما أدركهما الليل ، تركها تنام فى ناحية ، وانفرد فى مكان آخر يصلى ، ورأى فى رؤيا نورا عظيما يمتد بين السماء والأرض ، والملائكة صاعدين بروح بائيسة ، فذهب إلى حيث كانت فوجدها قد ماتت٠٠وسمع صوتا يقول (إن توبتها قد قبلت فى ساعتها التى تابت فيها ، أكثر من الذين قضوا سنين كثيرة فى التوبة ولكن ليست بنفس الحرارة ٠٠٠ورجع القديس يوحنا القصير إلى شيهيت ، وأخبرا الآباء

القديسين بتوبة بائيسة ونياحتها وقبول الله لها ٠ وكتبت قصتها فى سنكسار (٢ مسرى) وهكذا كان تدخل القديسين له عمقه فى إيقاظ الخطاة٠

وأنت يا أخى ، لعل القديسين لهم دور فى يقظة نفسك ٠٠٠٠

ربما فى الأوقات التى تصحو فيها نفسك بعد غفوة معينة ، يكون سبب ذلك صلوات قديسين قد رفعت من أجلك ، فأرسل لك الله نعمة خاصة توقظك ٠ وهكذا لا يجوز لنا أن نيأس من خلاص الخطاة ، لأن قديسين كثيرين يعملون لأجلهم ويذكرونهم أمام الله فى السماء ٠

أما على الأرض ، فتعلمنا هذه القصص أهمية الإفتقاد٠٠٠

كم من نفس غافلة ، تحتاج إلى افتقاد منك ، من نوع زيارة القديس يوحنا القصير لبائيسة بنفس الجدية والعمق ، وبنفس الروح والتأثير ٠٠وكما تفعل زيارة القديسين فى إيقاظ الخطاة ، هكذا أيضا تفعل الذكريات المقدسة فى زيارتها للعقل والقلب وتأثيرها عليهما

٧- الذكريات المقدسة القديمة

هناك خاطئة أخرى ، لها قصة شبيهة ، وقد أيقظتها الذكريات المقدسة القديمة ، التى أثارها فيها إفتقاد قديس لها ، وهى :

مريم الخاطئة التى تابت بافتقاد عمها القديس إبراهيم المتوحد لها ٠

كانت قد بدأت بحياة نسكية طيبة فى مغارة مدى عشرين عاما تحت رعاية عمها ٠ ثم أغواها الشيطان ، وسقطت وهربت ، واستمرت فى السقوط ، كأنها نسيت حياتها القديمة البارة ٠٠ ربما ليأسها من الرجوع إلى الله وبحث القديس الأنبا إبراهيم عنها ٠ وأخيرا عرف مكانها ، وذهب إليها متنكرا ٠ وجلس إليها ٠٠٠ولما لمحت المسوح التى كان يلبسها تحت ثياب تنكره ، واشتمت منه رائحة عرق النسك ، ثارت فيها الذكريات القديمة ، وبدأت تستيقظ ٠بينما كان القديس يصلى من أجلها ٠ وتذكرت مريم أيام عفافها ونسكها ، وانفجرت باكية ، وهى تقول (ويل لى ، إننى أتعس كل بنى البشر) واستغل القديس تأثرها ، فقال لها (أيتها القديسة إبنة المسيح ، هل أنت مقتنعة ومسرورة بما أنت فيه)٠٠٠وحدثها القديس عن ذكريات نسكها القديم٠ ومرت لحظات وهى جامدة أمامه من الخوف والخزى ، فأخذ القديس يعزيها ويقيمها من هوة اليأس ٠ ثم أخذها وأخرجها من ذلك الفندق وقادها إلى حياة التوبة مرة أخرى ، ورجعت إلى مغارتها ، تبكى خطاياها ، ولكن فى رجاء التوبة ٠٠٠ وفى ساعة إنطلاقها من العالم ، بعد سنوات فى التوبة ، كان وجهها يضئ كالمصباح

إن الذكريات القديمة المقدسة قد هزت نفس القديسة مريم وأيقظتها ، ولم يكن عمها الأنبا إبراهيم محتاجا إلى مجهود كبير معها لإيقاظها ٠

وكم من أناس توقظهم ذكرياتهم القديمة المقدسة ٠٠٠٠٠

عندما يتذكر الإنسان محبته الأولى ، وعمق حياته الروحية فى ماضيه ٠٠٠٠عندما يتذكر أيامه الحلوة مع الله ، والحرارة التى كانت له فى صلواته وفى خدمته ، وعمل الله معه ما أسهل حينئذ أن يتحرك قلبه فيستيقظ ، ويبكى على ما هو فيه ٠٠٠ربما تقع فى يده مذكرة تأملات قديمة له ٠٠٠٠ وإذ يعاود قراءتها تهتز نفسه من الداخل ، فيصحو ٠٠٠قد تصادفه صورة له مع أشخاص روحيين كانوا زملاءه فى طريق الرب ، فتذكره هذه الصورة بأيام سعيدة مع الله ،

يشتاق قلبه إليها فيصحو ٠٠٠وربما يزوره صديق قديم ، يحكى لـــه ذكريـــات الخدمـــة ، أو ذكريات رحلاته معه إلى الأديرة ومواضع القديسين ، فتتأثر نفسه ويستيقظ ٠٠٠٠ياليتنا كلمـــا نفتر ، نعود فنتذكر ماضينا الحلو فنصحو ٠٠٠وليتنا أيضا نضع أمامنا قنوات ثابتة بيننا وبـــين الذكريات القديمة ، نعيدها إلي أذهاننا بين الحين والآخر ، لنمتص عصارتها وتسرى فى عروقنا فتنعشها ٠٠٠٠

من الأسباب التى تساعد أيضا على اليقظة الروحية :

٨- تأثير وسائط النعمة

إن نعمة الله تعمل فى قلب الإنسان لتوقظه ، إما بنخس مباشر للضمير ، وإما عـــن طريـــق وسائط روحية تؤثر فيه ، مثل قراءة روحية تهتز نفسه هزا ، أو عظة عميقـــة تســـتطيع أن تدخل إلى أعماقه فيستيقظ ، أو قداس روحى يسمعه فيحمل نفسه إلى أجواء أخرى غير أجواء الخطية ، أو اجتماع روحى ينقله من جو الخطيئة الذى يعيش فيه إلى جو مغاير فيصحو ٠٠٠

وما أكثر القصص التى فيها استيقظ خطاة بوسائط النعمة ٠٠٠٠

فهكذا استيقظ أوغسطينوس ، عندما قرأ حياة القديس العظيم الأنبا انطونيوس ، وشـــعر بلـــذة وعمق الحياة النسكية التى عاشها ذلك القديس العجيب ٠٠٠وتاب أوغسطينوس ، وتحول إلـــى نبع من الروحيات إرتوى منه كثيرون ٠٠٠

وبيلاجية الممثلة والراقصة المشهورة فى أنطاكية ، كيف استيقظت ؟

لقد ذهبت إلى الكاتدرائية الكبرى فى أنطاكية ، ربما للفرجة إذ كان عدد كبير من الأساقفة فـــى زيارة لها ٠وتصادف أن القديس نونيوس كان يعظ من كل قلبه عن الحياة الأخرى وما فيها من بركات للأبرار ودينونة للخطاة ٠وكان يتكلم بالروح ، بتأثير عميق فى النفوس ، بكلام بســـيط ولكنه قوى نفاذ ٠ وإذ بخوف الله يدخل فى قوة إلى قلب بيلاجيـــة ، فتصـــحو لنفســـها ، وإذا بدموعها تنهمر على الرغم منها ٠٠٠وتصر فى داخلها على مقابلة القـــديس نونيـــوس بعـــد انصرافه من الكاتدرائية ، وتبدأ قصة توبة ، تتحول بها إلى قديسة تصنع عجائب ٠٠٠

إن نفس التأثير الروحى أيقظ أيضا أفدوكيا الخاطئة ٠٠٠٠

إلى أنها نالت عاشت فى الخطية زمانا ، قادها فيه شيطان اليأس إلى الإستسلام وخدر ضميرها ٠ ولكن كيف استيقظت ؟ لذلك قصة : كانت فى بعلبـــك ٠ وحـــدث أن راهبـــا قديســـا يـــدعى جرمانوس زار صديقا له كان يقيم بيت مجاور لهذه الخاطئة ٠وفى منتصف الليل كان الراهـــب يصلى صلوات عميقة ، وكان يقرأ فصولا مؤثرة من الكتاب المقدس ومن الكتـــب الروحيـــة ، وكان صوته مرتفع ربما ليطرد النوم عنه ٠ وكانت هذه الخاطئة تتجســـس بأذنيهـــا أصـــوات جيرانها ٠فسمعت هذه الصلوات وهذه القراءات الروحية ، وتأثرت بها جدا وهزت مشاعرها ، فأدركها الحزن على نفسها ، واستيقظت روحها داخلها ٠ وفى الصباح ذهبت وقابلت القـــديس

جرمانوس، الذى وعظها كثيرا وتأثرت جدا بوعظه ، وبدأت معها قصة توبة ٠٠٠فتعمدت ، والتحقت ببيت للعذارى ، وارتفعت فى حياة الروح والنسك ، حتى صارت أما لهذا البيت ، وانتهى بها الأمر إكليل الشهادة ، وتعيد لها الكنيسة فى اليوم الخامس من برمهات (باسم أود كسيا) **حقا انه خطر على الإنسان ، أن يبقى فى جو واحد فقط هو جو الخطية ٠٠٠٠**

بحيث يؤثر عليه هذا الجو تأثيرا كاملا ، ويسيطر عليه ، ولا يعطيه فرصة أن يتنفس هواء جديد ا ٠٠٠أما وسائط النعمة ، فإنها تقدم تأثيرا جديدا يقيم توزانا داخل قلب الإنسان ، ويشعره بخطورة موقفه ، فيستيقظ لنفسه ٠٠٠كما أنها تغرس فيه مشاعر من نوع آخر ، تقربه إلى الله وحياة البر ، وبخاصة إن كان الخاطئ قد أتعبته الخطية ، ولكنه بقى فيها إذ لم يجد غيرها ، أولم يجد من يقوده خارجها ٠٠٠وهكذا تؤدى الوسائط الروحية عملها فى إيقاظ النفس الخاطئة ٠٠٠

هناك سبب آخر نقدمه فى موضوع اليقظة الروحية وهو :

٩- التأثر بموت الآخرين

الموت يهز النفس هزا ، ويقلب جميع التأثيرات المادية فى قلب الإنسان ، إن أمكن أن يستخدمه حسنا لخلاص نفسه ٠ربما إنسان خاطئ يذهب إلى الكنيسة لمجرد تقديم العزاء لأحد أصدقائه فى موت قريب له ٠ وإذا بالموت يحدث تأثيره ٠٠٠ فقد يتأثر من منظر الميت فى صندوقه بلا حراك ، أو قد يتأثر بلحن حزاينى مثل آجيوس أو آري باميفئى ، أو يتأثر ببكاء الناس ٠٠٠ أو بالعظة ٠٠٠ ويخرج من الكنيسة وإذا هو شخص آخر ، قد عزم على التوبة بكل قلبه ٠٠٠

ولعل فى قصة القديس الأنبا بولا مثالا لتأثير الموت ٠٠٠٠

لم يكن يشغله سوى موضوع الميراث والمال ٠وكان ذاهبا لكى يقاضى قريبه الذى اغتصب جزءا من ميراثه ٠٠وفى الطريق رأى جنازا ونعش ميت ، وسمع ما يقوله المشيعون٠٠٠وترك الموت تأثيره فى نفس بولا ، فزهد العالم ، وزهد الميراث والمال ، ومضى إلى البرية ، وتحول إلى القديس العظيم الأنبا بولا أول السواح ٠ ليتنا إذن نستفيد من مناظر الموت ، ومن الحديث والقراءة عنه ٠٠٠ إنه يعطى يقظة للأصحاء الذين يرونه فى آخرين ، ويعطى يقظة لمن ينتظرونه لأنفسهم ٠٠٠

وهناك سبب آخر لليقظة الروحية وهو

١٠- السقطة الكبير غير المحتملة

مع أن الخطية هى الخطية ، أيا كانت درجتها ونوعيتها ، إلا أن هناك خطايا يستطيع الضمير العادى أو الضمير الواسع أن يحتملها ، وأن يمررها بهدوء ، ويجوز مقابلها دون أن يهتز ٠٠٠وهناك خطايا تتحول إلى عادة ، يمارسها الإنسان كأنها جزء من طبعه أو طبيعته ، ولا يشعر أنها تمثل شيئا شاذا فى حياته يحتاج إلى أن يقف عنده ليغيره ٠٠٠ بل هناك خطايا يفتخر بها الخطاة ، ويتحدثون عنها فى زهو !

فى كل ذلك وأمثاله ، لا يستيقظ الضمير ٠ إلى أن يقع الإنسان فى الخطيئة بشعة ، أو خطيئة أكبر من احتمال ضميره ، أو خطيئة تسبب له فضيحة وعارا ،أو لها نتائج سيئة مخيفة ٠٠٠

وهنا فقط يستيقظ ٠٠٠٠! تماما كالذى لا توقظه الضيقات البسيطة التى يفتقده بها الرب وينتظر إلى أن تقع به الضيقة الكبيرة فيستيقظ ٠ ولكن طوبى للإنسان الذى لا ينتظر حتى يصل إلى هذا الحد الخطير ، بل له الضمير الحساس الذى يؤلمه من أولى خطوات

الخطية ٠٠٠الضمير الحريص المدقق الذى يقول للخطية من بدء طريقها : (يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويدفنهم عند الصخرة) (مز ١٣٦) (والصخرة كانت المسيح) (١كو ١٠ : ٤) وأطفال الخطية هم براعمها الصغيرة ٠٠٠

إن الإنسان الذى لا تأتيه اليقظة من داخله ، كثيرا ما توقظه أسباب خارجية كغالبية الأسباب التى ذكرناها ٠ فلا يفيق مثل هذا الإنسان إلا بسبب يأتيه من الخارج

مثل لوط الذى لم ينتبه إلى نفسه ويخرج من سادوم ، وانما خرج بسبب ملاكين دفعاه دفعا إلى الخارج ليترك المدينة الهالكة ٠

أما أنت يا اخى ، فلا تنتظر حتى يرسل الله ملاكين يخرجانك من سادوم ، وانما إستيقظ أنت من ذاتك ٠ قم من الأموات ، فيضئ لك المسيح ٠٠٠٠

أترك هذا الكتاب الآن واجلس إلى نفسك ،

وقل لابد أن اصطلح مع الله ٠٠٠الآن

وارفع صلاة أن يعينك الرب ، ويعطيك قوة ترجعك إليه ٠٠٠٠

مشاعر تصاحب اليقظة الروحية

*الشعــور بـالخجل والخـــــزى .
*دمــــوع الحــزن والنـــــدم .
*حرب اليأس ، وحسد الشياطين.
*حرارة روحية تصحب اليقـــظة.
*تـعــويــض مافـــــا ت.
*مشــــاعـــر أخــــــرى ...

اليقظة الروحية ، إن كانت يقظة حقيقية ، هناك علامات تدل عليها وتميزها .ولعل من أول هذه العلامات :

١- الشعور بالخجل والخزى :

عندما يصحو الخاطئ إلى نفسه ، يدرك بشاعة الخطية التى كان يعيش فيها ، فيشعر بخزى من خطاياه ، ويخجل من ماضيه ٠ وكلما تمر أمامه صور خطاياه تزعجه وتخزيه كيف أنه فقد صورته الإلهية ، وفقد نقاوته ٠٠٠! كيف أنه دنس نفسه أو فكره ، أو حواسه أو جسده ٠٠٠ كيف أنه استهان بوصايا الله إلى هذا الحد ٠٠٠! كيف ٠٠٠كيف٠٠٠٠؟!

إنه يخجل أولا من الله ذاته ٠٠٠٠

يخجل من قدسية الله وصلاحه ٠٠٠٠إن كانت الخطية بشعة أمام الإنسان ، فكم تكون بشاعتها أمام الله القدوس ، غير المحدود فى قداسته ٠٠٠ ويخجل من طول أناة الله عليه وكيف أن الله الحنون لم يأخذه فى سقوطه ، إنما صبر عليه وهو يتعدى وصاياه ، وأعطاه فرصة لكى يستيقظ ويتوب ٠٠٠يخجل من محبة الله التى قابلها بالجحود والإستهانة ، وفى صلاته يقول لهذا الإله المحب (أنا يارب مكسوف منك ٠٠٠خجلان لا أعرف كيف أرفع وجهى إليك ٠٠٠وكيف أتجرأ و أعود فأخاطبك ، كأن شيئا لم يحدث صدقنى يارب إننى خجلان من محبتك التى تسمح الآن بأن تسمع لى ، وتقبلنى مصليا محبتك التى ترضى بأن تصطلح معى ، بهذه السهولة ٠٠٠٠ ! هذا الخجل المقدس هو صفة لازمة لكل تائب ، يعرف تماما أنه وضع نجاساته على كتف المسيح ليحملها عنه ، ويخزى من محبة الفادى وهو يقبل هذا ٠٠٠٠

ولعل من أمثلة الشعور بالخجل ، قصة العشار فى الهيكل ٠٠٠٠٠

يقول عنه السيد المسيح إنه من خجله ، لما دخل الهيكل (وقف من بعيد) وهو
(لا يشاء أن يرفع عينيه إلى السماء) (لو ١٨ : ١٣) وإنما فى مذلة وفى شعور بالخزى ، قرع صدره قائلا : إرحمنى يارب أنا الخاطئ ٠

نفس الوضع يشبه مشاعر الإبن الضال فى يقظته ٠٠٠

لما استيقظ هذا الإبن من غفلته ، أو لما (رجع إلى نفسه) ، شعر فى خزيه أنه لم يصل إلى مستوى أجراء أبيه ، وانه لا يستحق أن يكون له إبنا ٠ وكل ما يريده من أبيه هو هذه الطلبة (إجعلنى كأحد أجرائك) (لو ١٥ : ١٩) ٠

لما استيقظت مريم الخاطئة ، قالت لعمها الأنبا إبراهيم :

(لا أستطيع يا أبى أن أنظر إلى وجهك من فرط خزيى وعارى ٠ بل كيف أرفع عينى إلى السماء نحو الله ، وأنا ملوثة بكل الأوحال الدنسة ؟ ! ٠٠٠حقا إن الإنسان الذى استيقظت روحه يقول مع المزمور :

(اليوم كله خجلى امامى ، وخزى وجهى قد غطانى) (مز ٤٤ : ١٥)

وإذا وقف أمام الله ، لا يجد أمامه سوى عبارة (أنت عرفت عارى وخزيى وخجلى)
(مز ٦٩ : ١٩)إنه إنسان خجلان من الله ٠ لا يجرؤ أن يرفع وجهه إليه ، ولا يرى نفسه مستحقا الدخول إلى البيت الله ٠ بل يقول له (أما أنا فبكثرة رحمتك ادخل إلى بيتك)
(مز ٥: ٧)إنها رحمة منك ، تسمح لى بها أن ادخل إلى بيتك ، وليس استحقاقا لى أنا يارب اشعر بخجل أمامك ٠٠٠ كيف حدث أننى ضعفت إلى ذلك الحد ؟! كيف أننى لم أقاوم بل استسلمت وسقطت ؟! كيف لم أضعك أمامى وقتذاك ٠٠٠كيف استهنت بوصاياك ٠٠٠

إذا استيقظ الخاطئ ، يشعر بخجل فى الداخل أمام نفسه ٠ وبخجل خارجها أمام الله ، وأمام ملائكته وقديسيه ٠٠٠

دائما الخطية تسبب الخجل والخزى ، أو أنكشاف الخطية أمام الإنسان يسبب هذا سواء أكانت خطيته هو ، أو خطية من ينتسبون إليه وينتسب إليهم ٠٠٠٠

وهكذا نجد أن الخزى من الخطية ، يدخل فى مشاعر الأنبياء ٠٠٠٠

فأرميا النبى – وهو يوقظ الشعب الغافل فى خطيته – نسمعه يقول (٠٠٠نضطجع فى خزينا ويغطينا خجلنا ، لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا ، نحن وآباؤنا ، من صبانا إلى هذا اليوم) (أر ٣ : ٢٥) وعزرا الكاهن ، لما اكتشف خطايا الشعب ، مزق ثيابه حزنا ٠٠ وعند تقدمة المساء ، قام من تذلله ، وبثيابه جثا على ركبتيه ، وبسط يديه إلى الرب قائلا :

إننى أخجل و أخزى من أن ارفع يا إلهى وجهى نحوك (عزرا ٩ : ٦)٠

وشرح عزرا سبب خجله وخزيه فقال (لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاظمت إلى السماء ٠٠٠قد جازيتنا يا إلهنا بأقل من آثامنا) وختم هذا الكاهن القديس صلاته بقوله (أيها الرب ٠٠٠أنت بار ، لأننا بقينا ناجين إلى هذا اليوم ٠ ها نحن أمامك فى آثامنا ، لأنه ليس لنا أن نقف أمامك (عز ٩ : ٦ ، ١٣ ، ١٥) ٠

وبنفس صلاة أرميا وعزرا ، كانت أيضا صلاة دانيال ٠٠٠

قال وهو صائم فى المسوح والرماد (أيها الرب الإله العظيم المهوب ٠٠٠أخطأنا وأثمنا ، وعملنا الشر ، وتمردنا وحدنا عن وصاياك ٠٠٠٠ يا سيد ، لنا خزى الوجوه ، لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا ، لأننا أخطأنا إليك ٠٠٠) (دا ٩ : ٥، ٨) ٠

هكذا وقف الأنبياء القديسون فى خزى أمام الله ٠ فهل يليق بنا فى توبتنا أن نقف بجرأة أمام الله ، نطالب بحقوق ؟ !

إن الكتاب يعلمنا هذا الإنسحاق الذى نشعر فيه بالخزى والخجل ٠٠٠٠ إن داود النبى ما أن انكشفت أمامه خطيته ، حتى شعر بالخزى وقال (لقد أخطأت جدا فى ما فعلت إنحمقت جدا) (٢صم ٢٤ : ١٠) (وضربه قلبه) ٠٠٠٠

الخجل لا بد أن يكو ن ، قبل الخطية أو بعدها ٠٠٠٠

مبارك هو الشخص الذى يشعر بالخجل من فعل خطيته ، قبل أن يقع فيها ، ويمنعه الخجل من ارتكابها ، مثل يوسف الصديق الذى قال
(كيف أخطئ وافعل هذا الشر العظيم أمام الله) ٠٠٠ وهكذا لم يخطئ ٠٠٠فإن لم يخجل الإنسان هذا الخجل الواقى ، وسقط فى الخطية ، فبالأحرى جدا ينبغى أن يشعر بالخجل لسقوطه ٠ يخجل من ضعفه ومن هزيمته ، ومن دنسه ، وبعده عن الله ٠٠٠٠واستهانته بمحبة الله وطول أناته عليه ٠٠٠

ويخجل الإنسان من وعوده لله فى أن يحيا حياة بر٠٠٠٠٠

تلك الوعود السابقة ، الحافلة بتعهدات كثيرة ، والتى لم يكن أمينا فيها ولا صادقا ٠٠٠ولسان حاله يقول :

كم وعدت الله وعدا حانثا ليتنى من خوف ضعفى لم أعد

ويزداد خجله من تعهداته لله ، كلما كانت تلك التعهدات محاطة بقدسية معينة ، كأن يكون قد تعهد أمام الله ، وهو واقف أمام المذبح ، أو وهو واضع يده على الإنجيل ، أو وهو أمام رفات أحد القديسين ٠٠٠٠كل ذلك يجعله يذوب خجلا أمام الله وأمام نفسه ٠ وكما يخجل الإنسان من نفسه ومن ضعفه وعدم أمانته ،

يخجل كذلك من الملائكة وأرواح القديسين الذين رأوه يخطئ ....

قد لا يخجل الخاطئ من خاطئ مثله ، يراه فى خطيئته أو يشترك معه فيها . ولكنه يخجل جدا إن عرف بهذه الخطية أحد الأبرار الأتقياء ، أو أن رآه أو سمعه ... فكم بالأكثر يكون خجله من الملائكة الذين حوله ، وأرواح القديسين وهى تراه ! وكذلك كم يكون خجله من أرواح أصدقائه وأقربائه الذين انتقلوا ....أين يخفى وجهه من كل هؤلاء ، وبخاصة الذين كانوا يحسنون الظن به ، والذين كانوا يثقون به وببره وتقواه ، ويمتدحونه ، ويطلبون صلواته لأجله... ثم يرون نفسه على حقيقتها فى أخطائها ....! بل هو يخجل أيضا من أرواح أعدائه ومعارضيه

ممن كان هو ينتقد أعمالهم ويبدو أفضل منهم . ماذا تراهم يقولون عنه الآن ؟!

والخاطئ حين يستيقظ ويتوب ، يقول فى شعوره بالخزى :

أين أخفى وجهى ، يوم تفتتح الأسفار ، وتكشف الأعمال والأفكار ؟!

إن كان خجلى هنا على الأرض يؤلمنى ، أمام عدد محدود ، فكم وكم يكون فى اليوم الأخير ، أمام الخليقة كلها .... ماذا أفعل بهذا الماضى وسقطاته ؟ إن كنت لا أحتمل التعبير على الأرض ، فكم يكون العار فى اليوم الأخير . ويظل هذا الخزى يتابعه ويؤلمه ، إلى أن يفيض الله عليه بعزائه ، ويمحو ماضيه ....وفى اعترافه بخطئه يستريح

والخزى من خطاياه ، ليس بسبب عقوبتها ، بل بسبب بشاعتها ....

إن العقوبة تسبب خوفا لا خجلا . ويزول هذا الخوف حينما يدرك الإنسان أن التوبة الصادقة تنجيه من العقوبة ...ولكنه يخزى بسبب احتقاره لنفسه فى سقوطها . وقد يحتمل الإنسان احتقار الناس له ...

ولكن أقسى ما يؤلم ، هو أن يحتقر الإنسان ذاته .....

وهكذا يشعر بالخزى ، ليس فقط أمام الله والناس ، وليس فقط أمام الملائكة وأرواح القديسين ، وانما أيضا يشعر بالخزى أمام نفسه : وهو وحده لا أحد معه . إن ذلك يعصره عصرا ، ويسحقه سحقا . وكل ذلك نافع له روحيا ... نافع له فى اكتساب فضيلة الإتضاع والإنسحاق

وفى عدم الإعتماد على نفسه فى المستقبل بل يعتمد على الله وحده . ونافع له فى الإحتراس من الخطية ومن أسبابها .....

لذلك إن لم يخجل الإنسان من خطاياه ، تخجله الكنيسة .....

وقد حدث هذا بالنسبة إلى خاطئ كورنثوس الذى حكم عليه بولس الرسول (١كو ٥) وعزلته الكنيسة من شركتها لكى يخجل ويحس ببشاعة خطيته . وقد كان ...حتى كاد يبتلع من الحزن المفرط ، وحينئذ عفت عنه الكنيسة (٢كو ٢ : ٧ ، ٨) ولعل فى قول الرسول (لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا) (١كو ٥ : ١١) ، وقوله

(اعزلوا الخبيث من بينك) (١كو ٥ : ١٣) ، ما يحمل معنى روحيا ، هو أن يحس هؤلاء ببشاعة سلوكهم ، ويستيقظوا ، ويشعروا بالخجل والخزى ...وكل هذا يقودهم إلى التوبة ، وبالتالى إلى المغفرة ، والى المصلحة مع الله ...

ولعل الإعتراف على الكاهن ، وسيلة تساعد على الخجل المقدس .

الإعتراف له أسباب عقيدية وفوائد كثيرة . ولعل من ضمن فوائده أن يشعر المعترف بالخجل وهو يعترف . وذلك لان البعض - لقلة حساسيتهم الروحية -

لا يخجلون أمام الله !
ولكنهم إذ يخجلون أمام الكاهن ، يدركون كم الخطية بشعة ، فيتوبون عنها ويتركوها
قلنا إن من يستيقظ يقظة روحية حقيقية ، لابد أن يشعر بالخزى والخجل بسبب خطاياه السابقة ٠ وهذا الخزى نافع له ٠٠٠

غير أن البعض للأسف يهربون من الخجل والخزى ٠٠٠٠٠

وبالتالى نقول انهم لم يستيقظوا بعد يقظة حقيقية ٠٠٠٠٠

هذا الذى يخطئ ، فيهرب من الإعتراف ، ومن الكهنة والمرشدين الروحيين ٠ أو يهرب من المجال الروحى كله ، حتى لا يتبكت قدامه ٠أو هناك من يهرب من خجل خطيئته ، بدفاع مختلق يحاول به أن يبرر نفسه ، فيضيف إلى خطيته خطايا جديدة بهذا الدفاع أو إنسان يهرب من خزيه أمام نفسه بسبب خطيئته ، بأن يغرق نفسه فى المشغوليات أو فى المتع ، حتى لا يخجلوا إلى نفسه فتحاسبه فيخجل ٠٠٠٠٠!

يا إخوتى ، إستفيدوا من الخجل ، فهو صديق مخلص ، صادق وصريح ، ويهدف إلى خلاص أنفسكم ٠٠٠٠

إن كان الشعور بالخزى هو من علامات اليقظة الروحية ، فمن علاماتها أيضا الدموع ، دموع الندم والحزن ٠

٣- دموع الندم والحزن

بطرس الرسول ما كان يشعر بفداحة إنكاره للمسيح ، بدليل أنه كرر هذا الإنكار ثلاث مرات وهو فى دوامة الخوف ٠ فلما أيقظه صياح الديك ، وتنبه إلى نفسه ، وشعر بعمق خطيته ، يقول الإنجيل إنه (خرج إلى خارج ، وبكى بكاءا مرا) (متى ٢٦ : ٧٥)

هذا البكاء هو تعبير القلب عما يشعر به من مرارة وندم بسبب خطيته ٠٠٠٠ وكما بكى بطرس ، بكى داود ٠٠٠٠

كان داود فى دوامة الخطية ، يتنقل فيها من مجال إلى مجال آخر ، حتى نبهه ناثان وأيقظه وفى يقظته تحول حزن قلبه إلى دموع متصلة فقال (فى كل ليلة أعوم سريرى ، وبدموعى أبل فراشى) (مز ٦) لم يبك داود خوفا من فقد أبديته ، فقد قال ناثان النبى
(الرب نقل عنك خطيئتك ٠٠٠ لا تموت) (٢ صم ١٢ : ١٣) ولكنه بكى ندما وحزنا ، لأنه دنس نفسه وأغضب الرب ٠٠٠٠

إن الدموع عنصر ثابت فى كل قصص التوبة ٠٠٠٠٠

إنها تصاحب كل يقظة روحية ٠٠٠٠يبكى بها الإنسان على أيامه لضائعة ، وعلى نقاوته المفقودة ، ندما وحزنا ، إذ يشعر إلى أية هوة قد انحدر ٠٠٠٠ يبكى بينه وبين نفسه أمام الله ، ويبكى أمام المرشد الذى أيقظ نفسه ، ويبكى أمام المذبح وصور القديسين ، ويبكى كلما تذكر

إن القلب الذى لم يختبر البكاء ، هو قلب قاس ٠٠٠٠

كلما تزداد حساسية ورقة القلب ، تزداد دموع التوبة والندم ٠٠٠٠ولكن قد تجف الدموع ، إن نسى الإنسان خطاياه أو انشغل عنها ، أو لم تعد خطيرة فى تقديره ٠٠٠ ولهذا نسمع فى بستان الرهبان نصيحة يكررها الآباء كثيرا ،وهى (إذهب إلى قلايتك ، وابك على خطاياك)

القديس يعقوب المجاهد ، بكى بكاء عجيبا ، لما صحا لنفسه ٠٠٠٠

قيل إنه صار يبكى ، والدموع تنزل من عينيه فى لون الدم ، غزيرة كالمطر ، حتى أن العشب نبت عند قدميه من الدموع ٠٠٠ وبقى هكذا سبعة عشر عاما ٠٠ فى مقبرة أغلق على نفسه فيها بدون عزاء ، حتى افتقده الرب أخيرا ، وأشعره بقبول توبته ، بمعجزة أجراها على يديه ٠٠٠٠

ودموع الحزن والندم تصحبها أمور أخرى تناسبها ٠٠٠٠

من أمثلة ذلك لوم النفس وتبكيتها فى شدة ، كما حدث للقديس موسى السائح ، الذى ظل يقول (الويل لك يا نفسى حينما فعلت كذا وكذا ٠٠٠ الويل لك يا نفسى ٠٠) وقد يصحب ذلك سجود الخشوع والتوبة ، أو قرع الصدر ، أو صرير الأسنان ٠٠ وما أكثر ما ورد من قصص فى كتاب الدرجى عن ممارسات منسحقة فى (دير التوابين) ٠٠٠٠

٣ – حرب اليأس وحسد الشياطين

قد ينتهز الشيطان حالة الندم المرير الذى يملأ قلب التائب مع لومه الشديد لنفسه ، لكى يوقعه فى اليأس ، كأن خطاياه بلا غفران ٠٠٠٠ ! وكما قال المرتل (كثيرون يقولون لنفسى : ليس له خلاص بإلهه) (مز ٣)

وقديما أوقع الشيطان يهوذا فى اليأس فشنق نفسه ٠٠٠٠

والمرشد الروحى الحكيم ، إذ وجد أن الكآبة قد عصفت بالخاطئ حتى تكاد تدفعه إلى اليأس ، يبدأ بإدخال الرجاء إلى قلبه ، بالحديث عن رحمة الله غير المحدودة وغفرانه الذى يشمل كل خطية ومن أمثلة ذلك قول بولس الرسول عن خاطئ كورنثوس (تسامحونه بالحرى وتعزونه ، لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط لذلك اطلب أن تمكنوا له المحبة)
(٢كو ٢ : ٧ ، ٨)

والحكمة هنا تقتضى حفظ التوازن بين أمرين :

إنسان غافل عن نفسه ، يحتاج إلى من يشعره ببشاعة الخطية حتى يستيقظ ٠ وإنسان آخر شعر ببشاعة الخطية ، وكاد ييأس من خلاصه وهذا لا نحدثه عن الخطية ، وإنما عن مراحم الله ، حتى لا يقع فى قطع الرجاء ويهلك ٠

على أن الشيطان كما يحاول أن يوقع التائب فى اليأس من المغفرة ، يحاول أن يوقعه أيضا فى اليأس من التوبة !

إنه لا يريد أن يفلت الخاطئ من يده ٠ فإن وجده قد استيقظ من غفوته وبدأ يمارس أعمال التوبة يحسده على ذلك ، ويحاول أن يوقعه فى الكآبة الشديدة التى تقود إلى اليأس ٠ فإن فشل فى هذا ، يثير عليه حربا شعواء عنيفة فى نفس الخطية التى تاب عنها ، حتى يرجعه إليها ، ويشعره أن التوبة عن هذه الخطية أمر مستحيل عمليا ، ولابد أن يسقط فيها عمليا مهما ابتعد عنها ٠٠٠!

وفى قصة القديسة مريم القبطية مثال لذلك:

فإنها بعد أن تابت ، ونذرت نفسها ، ودخلت فى حياة الرهبنة والسياحة ، حسد الشيطان توبتها ، وحاربها بعنف لكى يرجعها ٠وهكذا قالت للقديس زوسيما : (لمدة سبعة عشر عاما ، حاربت الشهوات غير المرئية التى للطبيعة الفاسدة ، مثلما أحارب وحوشا حقيقية وكانت مئات الأغانى الخليعة تعبر على ذهنى ، بل وتأتى على شفتى ، وحينئذ كنت أقرع صدرى مذكرة نفسى بتوبتى ، وبدموع كنت أطلب معونة الله وشفاعة العذراء ٠٠فكان يحوطنى نور باهر وتهرب التجربة) (ومرات أخرى كثيرة ، كانت تهاجمنى آلاف الذكريات الحسية والأفكار الدنسة وكانت تجعل فى قلبى آلاما شديدة ، بل كانت تجرى فى عروقى كجمر مشتعل ، حينئذ كنت أخر إلى الأرض متضرعة ٠٠٠ إلى أن يحوطنى النور الإلهى مثل دائرة من نار ، لا يستطيع المجرب أن يتعداها) (وكانت العذراء معينة لى بالحقيقة فى حياة التوبة ، فكانت طوال هذه المدة تقودنى بيدها وتصلى لأجلى)

٤- حرارة روحية تصحب اليقظة

الإنسان الذى يستيقظ روحيا ، كثيرا ما تشغله اليقظة قلبه بحرارة ملتهبة ، تدفعه إلى قدام فتعطيه إتضاعا عجيبا وانسحاق قلب ، كما تعطيه إلتصاقا دائما بالله فى صلوات حارة ٠ وإذا بكل عواطفه التى كانت متجهة إلى الخطية ، تتحول جميعها إلى الله فى قوة ، باندفاع يدوس فى طريقه كل شئ ، محاولا أن يعوض السنين السابقة التى أكلها الجراد ٠٠ إنها حرارة روحية تدخل فى الصوم والصلاة والجهاد الروحى والنسك والخدمة ٠

وكثيرا ما ينذر الإنسان التائب نفسه للرب

وبهذا تحول كثير من الخطاة التائبين إلى قديسين ٠٠٠

وكمثال لذلك ، القديس أوغسطينوس والقديس موسى الأسود كما نذكر القديسة مريم القبطية التى تحولت إلى سائحة ناسكة والقديسة بيلاجية التى تحولت إلى متوحدة صانعة عجائب ، وغيرها

هذه النفوس التائبة سارت فى توبتها بجدية وتدقيق ٠٠٠٠

عرفت ضعفها ، فعاشت فى حرص شديد ، وفى جهاد بلا كلل ، وهكذا عملت فيها النعمة ، وصعدت بها فى السلم الروحى بسرعة بلا عائق ...

وكانت هذه اليقظة نقطة تحول ثابتة ، وبلا رجعة .....

٥- تعويض ما فات

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المجال ، زكا العشار ....

كان ظالما ونهب كثيرين ، فلما استيقظ بنداء المسيح له ، قال للرب (ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين ، وإن كنت قد وشيت بأحد ، أرد أربعة أضعاف) (لو ١٩ : ٨)

وهكذا لا يتمسك التائب بشئ من مال الظلم .....

ولعل من أمثلة ذلك ، ما فعلته القديسة تاييس التائبة ....

ففى وسط المدينة ، وأمام جمهور كبير من الناس ، أحرقت كل المال الذى كسبته عن طريق الخطية كالملابس الفاخرة والتحف والهدايا والأمتعة ، وهى تقول (تعالوا يا رفاقى أنظروا إننى أحرق أمام أعينكم كل هداياكم وتذكاراتكم وكل ما جمعته عن طريق الخطية)

٦- مشاعر أخرى

إلى جوار الحزن على الخطية ، يشعر الإنسان فى اليقظة الروحية بفرح ... فرح بأنه وجد الله وعرفه ، وفرح بأنه استطاع أن يتخلص من الخطية ، كفرح الغريق بدخوله فى قارب نجاة ويشعر بأنه قد دخل حياة جديدة ، بفكر جديد ، كما قال الرسول
(تغيروا عن شكلكم ، بتجديد أذهانكم) (رو ١٢ : ٢) فينظر إلى الأمور نظرة أخرى وتصبح حياته الجديدة غالية عليه يحرص عليها .....